الفصل الاول

نظم الحياة قبل الاسلام ونشوء الحضارة الاسلامية واهم خصائصها

التعرف بالحضارة :

تعرف الحضارة في ابسط تعريف بانها اللفظة المشتقة من الحضر ،وهم سكان المراكز العمرانية ، أي (المدينة) فهي نقيض البداوه ، فالحضارة عرفت باسم المدينة (١)، ولعل هذا هو الذي جعل لفظ حضارة في اللغات الاوربية بـ Civilization وهي مشتقة من لفظ Civitas اللاتيني بمعنى مدينة.(٢)

والحضارة هي محاولات الانسان الاستكشاف والاختراع والتفكير والتنظيم،والعمل على استغلال الطبيعة للوصول الى مستوى حياة افضل،وهي حصيلة جهود الامم كلها،ويتم الاتصال بين الحضارات وبالتالي انتقالها عن طريق الفتح او الهجرة او التجارة او الحوار(٣) والحضارة في نمو مستمر وانها متواصلة العطاء،وقيمة أي امة في ميزان بناء الحضارة يساوي ما قدمته،مطروحا منه ما أخذته او اقتبسته.ومصادر الحضارة هي الكتابة ،والوثائق المكتوبة مع الاثار المادية كالابنية والبقايا الفنية، ويزداد شأن الاثارالمادية كلما اوغلنا رجوعاً في الزمن، فمعظم الحضارات السالفة سجلت على اثارها ما تريد قوله بكتابات شتى ،فالكتابة تروي لنا التاريخ السياسي والحياة الاجتماعية والفكرية والاقتصادية .(٤)

فمفهوم التحضر صار يعني الرقي والتقدم الفكري والمعيشي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والفني والروحي لمجتمع او فرد معين .فهي القوانيين والدستور .

ولابد من الاشارة الى ان هذا المعنى يدخل فيه موضوعين اساسيين هما الفكر والجانب العلمي والثقافي بكل جوانبه ، والجانب الاخر هو النظم الاسلامية عبر عصورها الطويلة من نظم سياسية وعسكرية وادارية واقتصادية . فالموضوع متشعب ومتعدد الجوانب ، يطلب المزيد من

---

(١) عاشور ،سعيد عبد الفتاح – وعبد الحميد ،سعد زغلول– والعبادي،احمد مختار (الدكاترة)،دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ،ط٢(الكويت ،دار السلاسل،١٩٨٦م)،ص٥ ؛ المبارك ،هاني – وابو خليل ،شوقي(الدكتوران)، دور الحضارة العربية في النهضة الاوربية،(بيروت – دمشق،دار الفكر المعاصر– دار الفكر ،١٩٩٦م)،ص١١ .

(٢)عاشور ،(واخرون)،دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ،ص٦ .

(٣)المبارك– وابو خليل ، دور الحضارة العربية في النهضة الاوربية،ص١١ .

(٤) م . ن ، ص١٢ .

البحث والتقصي من الباحثين والاكاديميين رغم ما كتب في موضوع الحضارة الاسلامية سيظل موضوع عناية الباحثين .

ومن بين الحضارات التي عرفها العالم في العصور الوسطى (ما بين اواخر القرن الخامس والقرن الخامس عشر للميلاد) تبرز الحضارة الاسلامية العربية لتمثل مكان الصدارة والزعامة ، فكان هناك الحضارة الصينية والهندية وفارس واليونان والرومان ... الا ان اقدم الحضارات تاريخا هي حضارة وادي الرافدين ووادي النيل ، ليأتي الاسلام ويتوج الحضارة الاسلامية بالرقي والتقدم وتجدر الاشارة الى ان الشطر الاول من العصور الوسطى ، اطلق عليه الكتاب الاوروبية اسم " العصور المظلمة " وهي نفس الفترة تمثل عصور النور والازدهار في العالم الاسلامي ، شرقا وغربا.(١)

نظرة في الحياة العامة عند العرب قبل الاسلام :

كان للعرب قبل الاسلام بوادر من النظم بعضها طورها الاسلام وأقر البعض الاخر وهذبها ورفض بعضها الاخر بما يتلائم وروح الاسلام، فمن الضروري أن نستعرض هذه الاحوال العامة التي مر بها العرب قبل الاسلام وهي:

الحالة الاجتماعية :

كان المجتمع العربي يقوم أساساً على الاسرة التي تقوم على أساس الزواج ، وكان الزواج متعدد الانواع (٢) فهناك زواج الشغاراو الشفار: (التبادل) هو أن يزوج الرجل أبنته أو أخته على أن يزوجه الآخر أبنته أو أخته ليس بينهما مهر أو صداق ، وقد ظل قائماً حتى جاء الاسلام فأمر بتحريمه . نهى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الشغار.(٣)

وزواج بالميراث: أذ تعامل الزوجه في هذا النوع من الزواج معاملة المال ، فكان الرجل أذا مات ورث أخوه أرملته ، فأن لم يكن له أخ ورثها أقرب اليه وقد نهى الاسلام عنه وحرمه ، فقال تعالى:((لا يحل لكم أن ترثو النساء كرهاً)) (٤)(٥)

---

(١)عاشور ،(واخرون)،دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ،ص٦ .

(٢) احمد ، لبيد ابراهيم(الدكتور)،عصر النبوة ،(بغداد، دار الحكمة ،١٩٩٠م)،ص٩ .

(٣) الملاح ،هاشم يحيى (الدكتور)،الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام ،(الموصل ،دار الكتب للطباعة والنشر،١٩٩٤م)، ص ٣٦٣ ؛ سابق ، سيد ، فقه السنة ،ط٣ ، (بيروت ،دار الكتاب العربي،١٩٧٧م)،ج٢،ص٥٤ .

(4) سورة النساء ، اية١٩ .

(٥) الملاح ،الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ص ٣٦٤ .

وكذلك هناك زواج الاغتراب: أذ أن أهم ما يميز هذا النوع هو أن يتبع الزوج أهل زوجته فيعيش بينهم .ويحمل أسمهم . أي دخول الفرد على الاسرة والعشيرة وصار فرداً منها ويحدث عادة عند الافراد الذين هاجروا أهلهم أو عشيرتهم ، أو بعض الفقراء الذين لاطاقة لهم على أقتناء زوجه بمهر أو صداق وعلى الرغم من أن الاسلام لم يمنع هذه النوع من الزواج الا أنه محدد بين العرب لتعارضه مع تقاليد الاسرة العربية التي تقوم على فكرة تبعية الزوجه لزوجها .(١) ورغم هذا التعدد في الزواج لكن هذه الانواع لم يكن لها نصيب من الذيوع ما عدا النوع الذي يقوم على التعاقد المشروط فيه القبول والايجاب والصداق والاشهاد ، وهذا النوع هو الذي أقره الاسلام٠وكان للعربي حرية التزوج من أكثر من واحدة ، بلا حد عددي ٠ وكان يتمع بحق الانفصال عن زوجته ٠ وهذا هو المعروف بالطلاق٠وكان الرجل صاحب التصرف المطلق في شؤون أسرته ، يزودها بحاجياتها المعيشيه من سكن ومأكل وملبس٠وغالباً ما كانت الاسرة العربية تشتمل على الرقيق والجواري ، وكان لصاحب الرقيق الحق في التصرف فيه بما شاء دون أن يسأل عن ذلك ، وكان الرقيق يباع ويشترى ، أو يؤول الى العرب عن طريق الثارات والحروب من الاسرى.وكانت المراة تشغل عند العرب مركزاً ممتازاً فهي التي تعني بالرجل في بيته ، فتهيء له طعامه ، وتغزل أصواف غنمه وتحولها الى النسيج كملابس وخيام وفرش واغطيه ، ولكن مهما كانت للمراة من قوة وحسب تبقى للرجل المقام الاول ، لطبيعة البلاد ، وحاجة القبائل الى التنقل والاعتداءات على القبائل والحروب والغارات كل ذلك جعل الرجل بالمقام الاول .

والاسرة عند العرب ، كغيرهم قابله للزيادة في أفرادها حتى تكون العشيرة أهم واصغر وحدة عند أقوام شبه الجزيره العربيه ٠ وتعرف العشيرة أحياناً بأسم (حي) أي الجماعة يمت بعض أفرادها الى بعض بعلاقة الدم ، أي انهم في الاصل ذوي القربى فأذا أزادت هذه (الاسرة ، والبطون ، والافخاذ، والشعوب) أصبحت قبيله: وهي الوحدة الكبرى للمجتمع العربي وتتمثل فيها قوتها واتحادها وعصبيتها برئاسة شيخها المنتخب من بين رؤساء الاسر والبطون والافخاذ والشعوب. (٢)

ولابد من القول أن العشيرة وحدة سياسية أجتماعيه أكبر حجماً من الاسرة لانها تتألف من عدة بيوت أو أسر ، وهي أصغر من القبيله والتي تتألف عادة من عدة عشائر ٠ فالبعض لا يفرق بين العشيرة والقبيله وينظر اليهما كأنهما شيىء واحد.

---

(١) ا لملاح ،الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ص٣٦٢-٣٦٤ .

(٢) احمد ،عصر النبوة ،ص٩-١٠ .

الحياة السياسية :

أن هناك دولاً عربية نشأت في اليمن ، ودولة كنده في وسط الجزيرة ، وفي تدمر، وفي الحيرة ، وفي الشام ، وكان نظام الحكم فيها ملكياً وراثياً في الغالب.

وسبق الاشارة الى ان القبيلة الوحدة السياسية التي يبنى عليها النظام الاجتماعي عند العرب قبل الاسلام ، ينتمون هذه المجموعه الى جد واحد مشترك أنحدروا منه مما أوجد شعور التماسك والاندماج والعصبيه القائمة على أساس رابطة الدم . يعيشون في البوادي والحواضر في الجزيرة العربية وبقية البلاد على أساس شكل (شعوب وقبائل وافخاذ وبطون).

فالنظام القبلي هو السائد ومن الصفات التي يجب أن يتحلى بها شيخ القبيله هي: الشجاعه ، والكرم والحلم ، وكثرة عدد الاهل والانصار ، وسعة الجاه والثروه ، وكان الاب يورث الرئاسه لابنه أحياناً ولكن الغالب ينتخب الشيخ من بين الافراد البارزين في القبيله ، مع كبر السن والتجربه والعقل .وشيخ القبيله هو الذي يعلن الغزو على القبيله الاخرى ، أو قافلة أو أن تستأثر بماء أو مرعى أو زرع ، فلا عيب في ذلك (لا أشكال في ذلك) بحسب عرف ذلك الزمان وكان شيخ القبيله يأخذ ربع الغنيمه قبل أن يأخذ أتباعه شيئاً منها ، وله أن يأخذ لنفسه من الغنيمه ما شاء ، وله الحق في المصالحه بين الاطراف المتنازعه ، وله الحق في الرحيل بعد أستشارة ذوي الرأي من قبيلته.(١)

ومن المفيد أن نشير في هذا المقام ان حكومة مكه كان لها السيادة في مكه في القديم لجرهم،ثم أنتزعها منهم خزاعه ، ثم أنتزع قصي السيادة من خزاعه وبذلك جعل لقريش المكانه الاولى .

وقصي : جد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو أول رئيس مشهور في قريش ، وعلى يده أنتظمت مرافق الحياة العامة في مكه ، فقام دار الندوة : وهي أشبه بمجلس شورى ، يجتمع فيه الشيوخ لبحث أمور القبائل .وهذا الامر يقودنا الى الحديث عن دور قريش التي أمتازت على سائر القبائل بهذه الرئاسة ، التي تستمد سلطانها من مكانة الكعبه الدينيه ، وموقع مكه التجاري، وزاد من مكانة قريش بين القبائل ما يسميه المؤرخون (حلف الفضول) وهو عهد أخذته قريش على نفسها أن ترد كل مظلمه لأهلها ، لا فرق في ذلك بين قريش وغير قريشي .وزاد في اهميتها ما كان من زعامة عبد المطلب بن هاشم ، ورباطة جأشه أيام هجوم الاحباش ، وانهزامهم أمام الكعبه. وقد ظهر في مكه جماعة من الرؤساء ، أشتهروا بالحرب والسياسه والتجارة ، والفوا ما يشبه الحكومة التي يسيطر عليها أفراد قلائل،أو مجلس من الاعيان ذوي

---

(١) احمد ،عصر النبوة ،ص١٢-١٣ .

الثروة والجاه ، ويشبه مجلس الاعيان ، في مكه ، وهي حكومه بسيطه ، ففيه كانت تقرر السياسه العامة للمدينه بعد المداولة والشورى.

فالحكم العربي قبل الاسلام يقوم على أساس نظام القبيله فهو حجر الاساس ، والصله التي كانت تربط الناس بعضهم ببعض تقوم على أساس قبلي (صلة النسب والقرابه والدم)٠ فعندما جاء الاسلام أستطاع أن يبدل هذه الرابطه برابطة أقوى وهي رابطة الاسلام ٠ فجاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بنظام جديد لدولة جديدة ،دستورها القرآن الكريم .(١)

الحالة الاقتصادية:

أن طبيعة البيئه التي عاش فيها العرب قبل الاسلام ، أما أن يكونوا حضراً يعيشون في المدن أو الواحات ، أو بدواً رحلاً ، وقد اعتمد الحضر على الزراعه القليله ، أما البدو ، فأنهم أعتمدو في معايشهم على الرعي بقطعانهم من الماشيه والاغنام ، يرتادون مواطن الكلاء والاعشاب حيثما وجدت فلم يكن لهم مستقر ثابت٠هذا وقامت بين العرب صناعات بسيطه ، أستمدوا منها ما كانوا في أشد الحاجة اليه ، كصناعة الحبال ، من الياف النخيل والصوف ، وبعض الاسلحه والحلي ، وصيد اللؤلؤ ٠ولما كانت الجزيرة العربية لا تكون وحدة أقتصادية كامله ، بحيث تكفي نفسها بنفسها ، وقدأضطر أهلها قديم الزمان الى الاتصال بالخارج للمتاجرة ، وتنقل التجارة عبر البحار ، وعبر بلاد الاقطار الاخرى ، وظلت التجارة من الشام أحتكاراً لليمن ، ولكن الحجازيين نافسوها في هذا المورد ، فحملوا سلع اليمن الى الشام ، وسلع الشام الى اليمن في (رحلتي الشتاء والصيف).(٢)

كما انتهزا الحجازيون موسم الحج ، والاشهر الحرم ، واقاموا حول مكه أسواقاً يختلف اليها الناس من كافة أجزاء الجزيرة في عكاظ ، وذوي المجاز ، والمحبه ، وكان الناس يأتون الى هذه الاسواق حاملين معهم بضائعهم ، فيبعون ويشترون .ووصلت عبقرية قريش بعقد معاهدات تجارية مع الروم والفرس والحبشه وهذا ما تعرف بتجارة القوافل ، وهي تجارة بعيدة المدى تربط بين التجارة في الموانىء الجنوبيه للجزيرة وبين المناطق الساسانيه والبيزنطينيه في الشمال ، أي منطقة البحر المتوسط ، ومنطقة المحيط الهندي والخليج العرب.(٣)

---

(١) ينظر : احمد ،عصر النبوة ،ص١٣– ١٦ .

(٢) م .ن ، ص١١ –١٢ .

(٣) م .ن ، ص١١ –١٢ .

ولعل من المفيد ان نقف عند الاسواق والتجارة قبل الاسلام اذ كان لموقع الجزيرة العربية اثره في تنشيط التجارة لانها تطل على مياه شط العرب والبحر الاحمر والبحر العربي وخليج عدن مما أ سهم في ازدهار التجارة فيها فضلا عن وجودالكعبة في مكة مما يجذب الناس اليها.(١)

ورافق التجارة نشاط الحركة في الاسواق التي اخذت تتطور حتى اصبحت لها أهمية خاصة في حياة العرب قبل الاسلام ، كان منها ما يخضع لسيطرة بعض القبائل اذا وقعت ضمن منطقة نفوذها(٢) ، ومن هذه الاسواق ماكان يقتصر نشاطه في الاغلب على ما كان يجاوره من الاحياء والقرى ، وما ينزل بساحته من القبائل كسوق الثعلبية والاحساء وغيرها ، ومنها ماكان عاماً تفد اليه الناس من اطراف شبه جزيرة العرب مثل سوق دومة الجندل وصحار ودباء والشحر ورابية وحضرموت وذو المجاز وخيبر ، والمشقر ، وحجر اليمامة ، وصنعاء ، ومنى وعكاظ وعدن.(٣)

وفي الوقت الذي كانت الانشطة التجارية تتم في الحواضر التي تتواجد فيها اسواق ثابتة(٤) كانت هناك اسواق موسمية بقيت تعقد حتى بعد الاسلام وخاصة في مواسم الحج مثل سوق عكاظ ومجنة وذي المجاز.(٥) ولم تكن الاسواق الموسمية مقتصرة على النشاط التجاري فحسب بل كانت منبرا ادبيا ويقول الدكتور حمدان الكبيسي واصفا لنا هذا الجانب : " ويمكن اعتبار سوق عكاظ بمثابة مجمع ادبي لغوي رسمي له محكمون يعرض عليهم شعراء كل قبيلة شعرهم ، وبها منابر خاصة يقوم عليها الخطيب ليلقي خطبته ويعد مآثر قومه من عام الى عام"(٦) .

اما النقود التي كانت متداولة في اسواق العرب قبل الاسلام فهي الدينار الذهبي البيزنطي والدرهم الفضي الساساني، فضلا عن استخدام الدرهم الحميري المضروب في

---

(١) ياسين ،نجمان (الدكتور)، تطور الاوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين،(بغداد ،دار الشؤن الثقافية العامة،١٩٩١م)، ص٤٨ .

(٢) م . ن ، ص٥٥ .

(٣) الكبيسي،حمدان عبد المجيد(الدكتور)،اسواق العرب التجارية قبل الاسلام،(بغداد،دارالشؤون الثقافية العامة ،١٩٨٩م) ص١٥ .

(٤)ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ)،البداية والنهاية ، (بيروت دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨م)، ج٣ ، ص ص ٤٠ و ٥٤ و١٧٠ و٢٥٠ و٣٢٤.

(٥) ياسين ، تطور الاوضاع الاقتصادية ، ص٥٨ .

(٦)الكبيسي، اسواق العرب التجارية ، ص٢٢ .

اليمن.(١) غير ان الدرهم الساساني والدينار البيزنطي هما النقدان الاساسيان اللذان يتم بهما تقدير قيم السلع وبهما يتم التبادل والتعامل (٢)، واحيانا لم يكن الناس يتعاملون بهذه النقود عداً بل وزناً وكأنما هي تبر(٣) غير مضروبة ،اي كانت توزن في عمليات البيع والشراء .(٤)
وكان للنشاط التجاري قبل الاسلام اثره في الحياة الاجتماعية حيث ادى الى اثراء عدد من الاشخاص والاسر ومن هؤلاء على سبيل المثال عبد الله بن جدعان والذي تميز بغناه الكبير حتى ضرب بغناه المثل(٥) ،كما للنساء نصيب في التجارة والغنى قبل الاسلام ومنهن السيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)(٦) كما ان اليهود مارسوا التجارة في اسواق العرب قبل الاسلام(٧) . وفي هذه الاسواق كانت تقوم المعاملات التجارية والبيوع وعقد الصفقات من البيع والشراء .

---

(١)فهمي ، عبد الرحمن ، موسوعة النقود العربية وعلم النميات (فجر السكة العربية) ، (القاهرة ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٥) ص ٢٨ –٢٩ ؛ الشريف ، احمد إبراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول،(بيروت ، دار الفكر ، ١٩٦٥)ص ٢١٥ و ٣٧٤ – ٣٧٥ ؛ عبد الرزاق ، ناهض ، المسكوكات ،(الكويت ،مطابع دار السياسة ، د . ت)ص ٣٠ ؛ الكبيسي ،اصول النظام النقدي في الدولة العربية الاسلامية(دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٨م)ص٧

(٢) المقريزي ، احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ)،إغاثة الأمة في كشف الغمة ،(القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٠) ص ٤٨ ؛ الكبيسي ،أصول النظام النقدي في الدولة العربية الإسلامية ، ص ٧ .

(٣)التبر:ما كان من الذهب الغير مضروب،فإذا ضرب دنانير فهو(عين) (ينظر:الرازي،محمد بن عبد القادر(ت٦٦٦ هـ)مختارالصحاح،ط٥(القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٩٣٩) ص ٧٤) .

(٤)البلاذري،احمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٩هـ) ،فتوح البلدان ،تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجد (القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربي ،د .ت) ، ج٣،ص ٥٧٢ ؛ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) ، مقدمة ابن خلدون ، (بيروت ، دار القلم ، ١٩٧٨) ص ٢٦١ .

(٥) الثعالبي ،ابو منصورعبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري (ت٤٢٩هـ)،ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ،تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ،(القاهرة ، دار نهضة مصر ، ١٩٦٥م) ص٦٠٩ .

(٦) ابن الاثير ، أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ)، اسد الغابة ، الكتاب ،(بيروت،دار الكتاب العربي ،د.ت)ج١،ص١٦.

(٧)الثعلبي،ابو اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم (ت٤٢٧هـ)،تفسير الثعلبي ،تحقيق : أبو محمد بن عاشور ،مراجعةوتدقيق الأستاذ نظير الساعدي،(بيروت ، دار إحياء التراث العربي،٢٠٠٢م)،ج٣،ص٢٢٧؛المجلسي ، محمد باقر (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار، ط٢ (بيروت، مؤسسة الوفاء للطباعة، ١٩٨٣م)،ج٢٠،ص١٢.

الحياة الفكرية:

كان العرب قبل الاسلام أغلبهم أميين ، وقد وصفهم القرآن الكريم ((هو الذي بعث في الامين رسولاً منهم))(١) غير أن الوصف لا يعني أنهم كانوا لا يعرفون القراءة والكتابه نهائياً ، فقد عرفها بعض العرب من أهل المدر والوبر ، فذكر البلاذري :((دخل الاسلام في قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب ٠٠٠))(٢)

ولابد من القول أن جذور الحياة الفكرية عند العرب تمتد الى زمان موغله في القدم ، فعرب ما قبل الاسلام كانوا على أطلاع بالحضارات المجاورة لهم فكانوا يعرفون الهند والصين وبلاد الشام ومصر ، والحضارة البيزنطينية والساسانيين وكل ذلك عن طريق التجارة ، أو تعرض بلاد العرب لغزوات البلاد المجاورة وغيرها من الهجرة والسفر والترحال ، فكانت حصيلة هذا الطور ، ظهور ثقافة موحدة عند العرب قبل الاسلام ، كان عنصرها الاساس الذي أستندت عليه الثقافة هي (اللغه العربية) وما عبرت عنه من شعور وحكم وخطابه وقصص ، فضلاً عن المعتقدات والطقوس الدينيه المشتركه ، كما أضف الى ذلك معرفة العرب بالاحساب والانساب (٣).

بعد هذا العرض الموجز عن الحياة العامة عند العرب قبل الاسلام ، نستعرض اهم عوامل نشوء الحضارة الاسلامية وخصائصها :

عوامل نشوء الحضارة العربية الاسلامية(٤) :

١- تعتبر حضارة العرب في الفترة السابقة للاسلام والتي بقيت عناصر كثيرة منها حية بعد مجيء الاسلام (في بعض جوانب الحياة الاجتماعية من زواج كالمهر ، وتكوين العائلة ، والاحتفاظ بالانساب ... وما له بالحياة الاقتصادية كالتجارة والثقافة واللغة ...) وغيرها من العناصر والجوانب التي رحب بها الاسلام وهذب بعضها بما يتلائم وروح الاسلام والتي امتزجت في عالمية الاسلام وعظمته لتبقى مستمرة . فالعرب المسلمين اخذوا ارث من تسبقوهم من اجدادهم العرب قبل الاسلام .

---

(١) سورة الجمعة ، اية ٢ .

(٢)البلاذري ،فتوح البلدان ،ج٣ ،ص٥٨٠ .

(٣)احمد ، عصر النبوة ،ص١٨ .

(٤)ينظر ،فهد ،بدري محمد – والكبيسي ،حمدان عبد المجيد– ورحمة الله،مليحة –والشامي ،فضيلة عبد الامير (الكاترة)،الحضارة العربية الاسلامية،(بغداد ،مطبعة التعليم العالي،١٩٨٨م)،ص٧-٩ .

٢- ان مبادئ الدين الاسلامي من عقائد وعبارات واخلاق كانت تحمل في طياتها حضارة الاسلام ودستوره والمتمثل بالقران الكريم،هذا الكتاب العظيم والنور الهادي في كل عصر.

٣- كان للترجمة عن الامم الاخرى من العوامل التي ادت الى نشوء الحضارة العربية الاسلامية ، والتي مرت بمراحل متعددة فترجم كتب اليونان والهنود وغيرها من كتب العلوم العقلية والنقلية وبعض الادب الى العربية ، مما ادى الى انعاش الفكر العربي .

٤- نتج عن تحرير والفتوح التي خاضها العرب المسلمين الى نتاج ارث حضاري محلي للبلاد المحررة والمفتوح . اخذها العرب بكل جوانبها ، وكان لبعض هذه الحضارة المحلية نتاج لهذه الفتوح ، فولد بعضها كرد فعل لما حمله الفاتحين العرب من حضارة ، فامتزجت حضاراتهم المحلية بمبادئ الاسلام والعروبة لتنتج حضارات محلية جديدة . كان لها اثرها في نشوء وامتداد الحضارة العرية الاسلامية .

وتجدر الاشارة الى ان الشعوب التي حررها الاسلام في العراق والشام ومصر وشمال افريقيا والاندلس وفارس وخراسان وما وراء النهر والهند ، حضارات محلية . هي التي دار الحديث عنها . من حصول امتزاج وتلاحم الافكار والقيم وتبادل الخبرات في شتى مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ... .

خصائص الحضارة الاسلامية العربية(١) :

١- انها حضارة ايمان : تؤمن بالله ورسالات الانبياء (عليه السلام) وتهدي الى الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) فالحضارة الاسلامية جاءت وليد هذا الايمان وما يحمله من مبادئ وقيم واخلاق ، واعمال تطورية .

٢- لتكون حضارة تقدمية : فهي لا جمود فيها ، فالاسلام جاء بثورة ضد الظلم والجمود والركود ، لينتج ويعمل ويتقدم .

٣- انها تتصف بالمرونة وسعة الافق : أي ان الحضارة الاسلامية العربية لم تكن ابدا منغلقة على نفسها ، فهي مرنة قابلة للاخذ بما يتلائم وروح الاسلام ، وهي معطاء بكل جوانبها .

٤- انها حضارة محبة وسلام : ففي ظل السلام يكون الاعمار والانتاج والهدوء والطمأنينة ، فالاسلام يدعوا الى السلم والسلام والمحبة . وهي من خصائص الحضارة العربية الاسلامية .

٥- انها حضارة تسامح : لا حقد فيها ولا كراهية ، فالاسلام يأمر بالصفح والتسامح في اكثر من موضع فقال تعالى ((فاصفح الصفح الجميل)) وقال تعالى في اية اخرى ((فاصفح عنهم

---

(١) ينظر : عاشور (واخرون) ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ،ص١٦-٢١ .

وقل سلام فسوف يعلمون)) وايات اخرى كثيرة في هذا المعنى . ولعل خير دليل ما قدمه الاسلام لاهل الذمة من تسامح وجعلهم في مظلة الاسلام ، والذين ساهموا في الحضارة الاسلامية .

٦- ان الحضارة الاسلامية العربية تتصف بالحيوية والاستقرار والوحدة : فهي حضارة حية قائمة منذ مولدها ، لم تمت رغم ما تعرضت له في عصورها الاخيرة ، ولعل السر في حيويتها انها قامت على اسس متينة من الدعائم الروحية والخلقية والفكرية مستمدة من وحي القران والاسلام .

٧- انها حضارة انسانية : فقد استهدفت الحضارة الانسان في الدنيا والاخرة ، والحفاظ على كرامته والنهوض بمستواه الروحي والفكري والاجتماعي والاقتصادي ... فهي تستهدف سعادة الانسان وخيره ، فالانسان هو محور هذه الحضارة وسعادته غايتها وهدفها .

٨- تتصف الحضارة الاسلامية بالامانة المطلقة : وهي صفة ميزتها عن كثير من الحضارات السابقة عليها واللاحقة بها . فالذين نقلوا علوم اليونان والفرس والهنود وغيرهم ، فانهم لم ينسبوها الى انفسهم وانما الى اصحاب الذين نقلوا عنهم .

فيقولون هذا عن جالينوس كذا ، وان بطليموس الكندي قال كذا ، وان اقليدس ذكر كذا ، وان ارسطو أو افلاطون يرى كذا ...

وهذه ميزة حضارة المسلمين العرب على عكس علماء اليونان الذين نقلوا كثير من غيرهم ونسبوه الى انفسهم ، فكان كثير من علوم اليونان وغيرهم من الحضارات التي ضاعت فيما تلت عصورها ، نجد فكرهم وعلومهم عند العرب المسلمين نقلوهابامانة ، بعد ان ترجموها ، حتى اعترف الغرب الاوروبي بهذه الامانة .(١)

الفصل الثاني

(١) عاشور (واخرون) ، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية ،ص١٦-٢١ .

نظام الخلافة وتطوره

التعريف بإلخلافة :

الخليفة جمعها خلفاء وهي مصدر خلافة وهي النيابة ، والقيام مقام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد وفاته ، وتمثل كل مهماته كحمل الناس على الطاعات وتنفيذ حكم الشريعة. والخلافة قي نظم الدولة العربية هي اعلى وظيفة ادارية يتولى بموجبها الخليفة سلطاته في ادارة الدولة وشؤنها كافة.(١)

وتجدر الاشارة انه في باب ما جاء في الخلفاء : عن جابر بن سمرة السوائي قال جئت مع أبي إلى المسجد والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يخطب فسمعته يقول:" يكون من بعدي اثنا عشر خليفة [اماماً–أميرا]ثم خفض صوته فلم أدر ما يقول فقلت لأبي ما يقول قال كلهم من قريش "وهو حديث حسن صحيح.(٢)

والخلفاء الراشدون هم جماعة وليت الأمر بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعليها ان يكون هديها من صميم هدي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .(٣)

وكان أبو بكر(رض) قد سمى نفسه خليفة رسول الله وكتب بذلك إلى الأطراف فكان يكتب من خليفة رسول الله (١) ، وكان عمر يكتب : من خليفة خليفة رسول الله ، وكان قبل ذلك يقال له

---

(١) الجوهري ، اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ)،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد بن عبد الغفور عطا، ط٤ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٦)، ج٤٤،ص١٣٥٦–١٣٣٥٧؛ القرشي ، باقر شريف ،النظام السياسي في الاسلام، ط٢(بيروت،دار التعارف،١٩٧٧م)،ص١٩.

(٢)ابن حنبل ، ابو عبد الله الشيباني(ت ٢٤١هـ)،مسند احمد بن حنبل (بيروت، دار صادر ،١٣١٣هـ)، ج ٥ ،ص ٩٩؛الترمذي ،ابو عيسى محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ)،الجامع الصحيح – سنن الترمذي ، تحقيق: احمد محمد شاكر واخرون (بيروت، دار احياء التراث العربي، د.ت)،ج٣،ص٣٤٠؛ الطبراني سليمان بن احمد (ت ٣٦٠ هـ) ،المعجم الكبير ،تحقيق:حمدي عبد المجيد السلفي،ط٢(بيروت ،دار احياء التراث العربي،د .ت)، ج ٢ ،ص ١٩٧ و ٢٥٤ ؛المتقي الهندي، علاء الدين علي (ت ٩٧٥ هـ)،كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، تحقيق: بكري حياني– وصفوة السقا (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩م)،ج١٢،ص٢٤و٣٣؛المباركفوري(ت١٢٨٢هـ)، تحفة الأحوذي ،ط١(بيروت ،دار الكتب العلمية، ١٩٩٠ م)ج ٦ ،ص ٣٩١ .

(3) ابن حيان، محمد بن خلف(ت٣٠٦هـ) ، أخبار القضاة ، (بيروت ، عالم الكتب للطباعة والنشر، د . ت)،ص٢٩٥؛التيجاني،محمد(الدكتور)،الشيعة هم أهل السنة،(قم،مؤسسة أنصاريان للطباعة،د.ت)،ص١٨٤ .

خليفة خليفة رسول الله ، فعدلوا عن تلك العبارة لطولها.(٢) وكان أبو بكر في البداية يتحرج من الجهر بها ، ويضطرب من أمرها.(٣)

• وتجدر الاشارة الى ان بعد استشهاد الخليفة علي بن ابي طالب (عليه السلام) في رمضان سنة ٤٠هـ تولى الخلافة بعدةه ولده الحسن (عليه السلام) فأقام بعد المبايعه بالكوفه الى شهر ربيع الاول سنة ٤١ هـ. حتى تم الصلح مع معاوية بشروط نقضها معاويه (فكانت خلافته ستة أشهر وخمسة أيام) ولم يزل الامام الحسن (عليه السلام)بالمدينه الى أن مات بها في شهر ربيع الاول سنة ٤٩هـ وقيل ٥٠هـ.(٤)

مميزات نظام الخلافة الراشدة :

١. أن طريقة الانتخاب لم تكن واحدة ، فقد كانت حينا أنتخاباً مباشراً وحيناً بالتسمية بعد معرفة آراء الناخبين ، ومرة أنتخاباً يقوم به الزعماء ، وهو في كل هذه الحالات تقتصر على أهل المدينه (أي العاصمة) والاقليم المركزي .(٥)

٢. أن صفات المرشح كالتجربة والسن وغيرها تجتمع فيه التقاليد العربية والمبادىء الاسلامية ، كما أن السابق في الاسلام والخدمة له كانتا من مميزات المرشح٠ اما النسب القريشي

---

(١) ابن سعد ، أبو عبد الله محمد (ت٢٣٠هـ)،الطبقات الكبرى (بيروت، دار صادر، ١٩٥٧م)،ج٣،ص٢٨١ ؛ابن حجر ، أبو الفضل أحمد بن علي (ت٨٥٢ هـ) الصواعق المحرقة ،(القاهرة ،مطبعة مكتبة القاهرة ،١٩٦٥)،ص٩٠ ؛ اللواساني ،حسن الحسيني ، نور الأفهام في علم الكلام،تحقيق : السيد ابراهيم اللواساني،ط١،(قم ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ،١٤٢٥هـ)،ص٥٥٣ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ،ج٣،ص٢٨١ .

(٣) ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن (ت٥٧١هـ) ،تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٤م)،ج١٩،ص٤٩٧؛ ابن الاثير ،النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي– ومحمود محمد الطناحي، ط٤ (قم، مؤسسة اسماعيليان، ١٩٨٥م)،ج٢،ص٦٩ .

(٤) البري، محمد بن ابي بكرالانصاري التاهساني (ت القرن٧هـ)، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله ،تحقيق : دكتور محمد التونجي،ط١ (بيروت – دمشق ، مؤسسة الأعلم للمطبوعات – مكتبة النوري، ١٤٠٢ هـ)،٢٦– ٣٧ ؛المرعشي،شهاب الدين النجفي ،شرح إحقاق الحق ،تحقيق:السيد محمود المرعشي،ط١،(قم،مطبعةحافظ– منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ،١٤١٨هـ)،ج٣٣،ص٥٤٢ .

(٥) فوزي ،فاروق عمر (واخرون) ،النظم الاسلامية ،(بغداد، دار الحكمة،١٩٨٧م)،ص٢٣ ؛ التيجاني ، الشيعة هم اهل السنة ،ص١٧١.

فكانت صفة لازمة ، فأن قريش شرفت في الاسلام لان الرسول (صلى الله عليه وآله) منها ،وصفات اخرى.(١)

٣. اما سلطة الخليفة فهي مقيدة بدستورأسلامي هوالقرآن والسنة ولكن صلاحياته واسعه كقائد وسلطة تنفيذية وقضائيه وتشريعيه وغيرها.(٢)

الخلافة في عهد الأمويين ٤١. ١٣٢هـ

تسلم معاوية بن ابي سفيان دست الحكم في ربيع الاول سنة ٤١هـ بعد مفاوضات بينه وبين الامام الحسن بن علي (عليهما السلام) والتي انتهت بشروط املاها الامام على معاوية ،...[وبعيدا عن التفاصيل]، فقد حكم معاوية بن ابي سفيان الدولة الاسلامية حتى سنة٦٠هـ ،وكانت عاصمة الدولة (دمشق) . وأدخل معاوية نظام الوراثة بتعين ابنه يزيد وليا للعهد وانتقال الحكم له من بعده.(٣)

فكانت بادرة مخالفة لنهج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، اذ احدثت رد فعل كبير بين المسلمين ، ظهرت آثارها بمعارضة شديدة وثورات استخدم فيها يزيد واعوانه كل اساليب الوحشية والقسوة ، لتثبيت سلطته .(٤)

خصائص نظرية الامويين السياسية:

١. لقد كانت ولادة الشخص عنصر رئيساً في انتخابه ومعنى ذلك أن يكون من أبوين حرين عربين ، فلقد كان مسلمة بن عبد الملك من أشهر الشخصيات الاموية ومع ذلك فلم يكن هناك أي أحتمال بترشيحه للخلافة لانه أبن أم ولد (جارية).(٥)

٢. أن الوراثه لم تتقيد بأن يتبع الابن اباه في ولاية العهد فقد كان الوليد الاول وسليمان ويزيد وهشام أخوة (أي انهم أبناء عبد الملك بن مروان) لكن نجد خلافة عمر بن عبد العزيز كانت بين سليمان ويزيد الثاني وكان العهد الذي يكتبه الخليفه الحاكم يحترم من البيت الاموي بصورة

---

(١) المتقي الهندي ، كنزالعمال،ج٥،ص٧٦٥ ؛ فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية ،ص٢٣.

(٢) فوزي (واخرين)،النظم الاسلامية ،ص٢٣

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج٨ ،ص١٨-٢١ و١٢٣ .

(٤)الخليلي ،جواد جعفر (الدكتور)، شرح القصيدة الرائية ، تتمة التترية،ط١(بيروت –لندن،الارشاد للطباعة، ٢٠٠١ م)،ص٤٥٨ ؛ يعقوب ،أحمد حسين ، الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية،ط٢(لندن ،دار الفجر ،١٤١٥هـ)ص٦٧؛ الورداني ،صالح، السيف والسياسة،(القاهرة، دار الجسام ،١٩٩٦م)،ص١٣٤ .

(٥)ابن حجر ، تهذيب التهذيب، ج١٠،ص١٣١ ؛ الزركلي ، خير الدين ،الاعلام ، ط٥،(بيروت، دار العلم للملايين،١٩٨٠م)،ج٧ ،ص٢٢٤ ؛ فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص٢٥.

عامة فحينما أراد هشام بن عبد الملك أن يعيين أبنه ولياً للعهد لم يقدر على ذلك لان يزيد كان قد أختار هشام ولياً للعهد ومن بعده الوليد الثاني . وقد عاش مروان الثاني متاعب كثيرة لعدم وجود عهد شرعي بتعيينه.(١)

٣. أن نضج ولي العهد وبلوغه سن الرشد كان من الصفات المهمه ، فقد رشح خالد بن يزيد لتولي الخلافه بعد معاوية الثاني فأعترض عليه لصغر سنه.(٢)

٤ . وان أهم ما يميز النظرية السياسية للامويين أنهم أعدوا الخلافة مؤسسة مقدسة مصونه ، وهذا يعني اقرارهم بمبدأ (الجبرية) أي أن كل شيء مقدر من الله سبحانه وهذا يعني بأن الله هو الذي شاء بأن يحكم الامويون الدولة الاسلامية.

٥. وقد كان الخليفه الاموي يعتمد في أنتخابه على الوفود وهم الاشراف ورؤساء القبائل وكذلك المهاجرين والانصار وما تبقى من صحابه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، حيث كان هؤلاء يمثلون رأي الامة ٠

* ولكن لابد من الاشارة الى أن هناك عاملان مهمان تدخلا في هذه الفترة لهدم المبدأ الانتخابي وهما:

أ٠ هو أن الاقليم الوحيد الذي كان يقرر أنتخاب الخليفه هو الاقليم السوري (بلاد الشام) وذلك لان العاصمه كانت في ذلك الوقت هي (دمشق) ، كما أن دعامة الدولة الاموية وهي القبائل الشاميه القويه كانت تستوطن هذا الاقليم٠

ب٠هوأشراف الخليفه الحاكم خلال فترة خلافته على تعيين خلفه وكان باستطاعة الخليفة الحاكم بما لديه من نفوذ أن يشير الى أنتخاب هذا الشخص أو ذلك ولياً للعهد.(٣)

الخلافة خلال العصر العباسي ١٣٢ . ٦٥٦م

تسلم العباسيون قيادة الدولة العربية الاسلامية بعد انتهاء حكم الأمويين سنة ١٣٢هـ، واتخذوا من العراق(الهاشمية ، والكوفة ، وبغداد ، وسامراء) مركزاً لدولتهم .

وكان اول الخلفاء العباسيين هو ابو العباس عبد الله بن محمد بن علي الذي استمر حكمه لمدة اربع سنوات ، أي منذ ١٣٢هـ وحتى ١٣٦هـ. ثم جاء بعده اخوه ابوجعفر المنصور ،الدوانيقي (١٣٦.١٥٨هـ).وتميز عصره بالقوة ،فقد استطاع من بسط سيطرته على ارجاء الدولة الاسلامية

---

(١) فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص٢٦.

(٢) ابن سعد ،الطبقات الكبرى،ج٥،ص٤٢ ؛ فوزي (واخرين)،النظم الاسلامية،ص٢٦.

(٣) فوزي (واخرين)،النظم الاسلامية،ص٢٦-٢٧ .

انذاك . كما تم في عهده بناء بغداد ، المدينة المدورة (مدينة السلام)، واتخذها عاصمة للخلافة .كما اهتم بالجيش والشرطة.
كذلك كان عصر هارون الرشيد(١٧٠-١٩٣هـ)، وولده المأمون (١٩٨-٢١٨هـ)،وكذلك المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ)، والواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ)عصر قوة وسيطرة، وحتى مقتل المتوكل العباسي سنة٢٤٧هـ. حيث تغير نظام الحكم في الدولة العربية الاسلامية تبعاً لما سيطرت عليه القوة الاجنبية .

***إذ يقسم العصر العباسي من ناحية نظام الخلافة الى فترتين مميزتين :**
اولاً : العصر العباسي الاول ويسمى بالعصر الذهبي في تاريخ العباسيين ويبدأ من تأسيس الدولة سنه ١٣٢ هـ الى سيطرة الاتراك على مقاليد الامور عام ٢٤٧هـ وكانت أغلب هذه الفترة حكامها أقوياء بيدهم السلطة والنفوذ.
ثانياً: العصور العباسية المتأخرة وتبدأ من ٢٤٧هـ الى سقوط بغداد عام سنة ٦٥٦ هـ وتشمل أربع فترات متميزة هي:
أ . فترة النفوذ التركي من سنة ٢٤٧ – ٣٣٤ هـ
ب . فترة التسلط البويهي وتنتهي سنة ٤٤٧ هـ
ج- فترة السيطرة السلجوقية وتنتهي سنة ٥٩٠ هـ
د- فترة الانتعاش المؤقت التي أنتهت بهجوم المغول على بغداد وسقوطها سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م .(١)

نظام الخلافة في العصر العباسي:

الخلافة في فترة النفوذ التركي (٢٤٧ – ٣٣٤ هـ)(٢):

كان لتقريب الاتراك وقوة نفوذهم أثار سيئه عل نظام الخلافة ولعل السبب في ذلك يعود الى كون الاتراك عناصر غير متحضرة (بدو العجم) فلم يكن لديهم أدراك كبير في السياسة والادارة ، وانما كانت ميزتهم المهمه تمرسهم على القتل.حيث تمرد الاتراك في عهد المتوكل (لان المتوكل أشتدت كراهيته لهم فقرر نقل العاصمة من سامراء الى دمشق سنة ٢٤٤ هـ) لذا تمرد عليه الاتراك وتأمروا عليه وقتلوه سنة ٢٤٧ هـ وبايعو أبنه المنتصر بالله خليفة للمسلمين٠

(١) فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص٢٩.
(٢) ينظر: م . ن ، ص٣٢-٣٤ .

أذ أزداد نفوذ الاتراك بقتل المتوكل ، واذا قفزنا الى خلافة المعتز بالله نجد أن الاتراك أجبروه على التنازل وبايع القوات الاتراك المهتدي بالله سنة ٢٥٥ هـ وهكذا أستمر تدخلهم في الخلافة عن طريق الفسق أو النقص في البدن ، وهما خير سلاح لدى الاتراك حيث أستعملوهما حجة على الخليفه متى شاؤوا وقد وجد الاتراك مثلاً وسيله مناسبه للتخلص من الخلفاء بسمل العيون يسقطون حق الخليفه بصورة طبيعيه ٠ ورغم ذلك كان الخليفه في هذه الفترة يتمتع بأحترام المسلمين ، كما أن القائد التركي كان يتظاهر بالخضوع للخليفة أمام الناس أذ تصدر الاوامر بأسمه ، الا أن يديه مغلولتان.

في هذه الفترة وتحديداً سنة ٣٢٤ هـ ظهر عصر جديد هو عصر أمارة الامراء(٣٢٤ – ٣٣٤ هـ) أذ أرادت الخلافه العباسيه أن تتخلص من التسلط التركي ، لذا أستعانت بحكام الاقاليم القريبه من بغداد للاستعانه بهم من أجل التخلص من القادة الاتراك ، فأرسل الخليفة الراضي الى (محمد بن رائق أمير واسط والبصرة) واغراه بمنصب جديد هو أمرة الامراء مقابل تخليصه من سيطرة الاتراك ، وفعلاً تم له ذلك.(١)

فمرت الخلافة في عصر أمارة الامراء بالمميزات الاتية (٢):

٠١ أستقرار النفوذ التركي وازدياد نفوذ الجيش واستمرار ظاهرة قتل الخلفاء أو التحريض على قتلهم وسلبهم كافة سلطاتهم الدنيوية٠

٠٢تفكك الدولة العربية الاسلامية نفسها حيث أستبد أمراء الاقاليم بالسلطه فاستفحل أمر البويهين في بلاد الديلم وفارس واستقل الحمدانيون في الموصل وديار بكر وربيعه ومضر ، وسيطر الاخشيديون على مصر وانفصل السامانيون في خراسان ، أما في الاندلس فقد اعلن عبد الرحمن الثالث (الخلافة) كما شهد هذا العصر تأسيس الدولة الفاطمية في المغرب ، والاباضيه على عمان ٠

٠٣ تمتع أبن رائق بكافة الصلاحيات٠

٠٤ أن عهد (الراضي والمتقي والمستكفي)كان عهد نزاع بين القادة المتنافسين حول منصب أمير الامراء ، واصبح الخلفاء العباسيون العوبة بيد أمير الامراء .

أذ لابد من الاشارة الى أن أمير الاحواز (أبي عبد الله البريدي) تحالف مع محمد بن رائق (امير واسط والبصرة) ضد (بجكم) القائد التركي ، واستطاعا أن يقتلا بجكم ، وسيطر محمد بن

---

(١)ابن الأثير ، الكامل في التاريخ،(بيروت، دار صادر – دار بيروت،١٩٦٦م)،ج٨ ،ص٣٢٢-٣٢٣ ؛فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص٣٥ .

(٢) ينظر :فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص٣٥-٣٦.

رائق ، ثم قتل أبن رائق من قبل الامير ناصر الدولة الحمداني الموصلي (في الموصل) وتسلم أمرة الامراء ، ثم أستطاع (توزون الديلمي) صاحب شرطة ناصر الدولة أن يطرد الاخير وتقلد منصب (أمير الامراء في بغداد) وهكذا أستمر منصب أمير الامراء بيد الديلم حتى أخذها بنو بويه ، وهم ديلم أيضاً٠(١)

الخلافة في العصر البويهي:(٣٣٤ هـ – ٤٤٧ هـ):

لابد من الاشارة الى أن بنوبويه يسكنون الديلم جنوبي بحر قزوين وكانوا يدينون بعقائد المذهب الامامية أو ربما الزيدية الذي دخل بلادهم في أواخر القرن الثالث الهجري.

وان أهم ما يميز الخلافة في هذه الفترة (٢):

١. لم يعترف البويهيون بأحقية الخليفة العباسي ، فلم يبق للخليفه في أيامهم سلطه تذكر وقد أحتفظ الخليفه بلقب أمير المؤمنين وابقى الامراء البويهيون منصب الخلافة بيد العباسيين لاغراض سياسيه لاعطاء حكمهم صفة شرعية تساعدهم على الاحتفاظ بنفوذهم السياسي.

٠٢ أن خوف البويهين من ضياع نفوذهم السياسي هو الذي منعهم من تحويل الخلافة الى شخص علوي فأن أبقاء خليفه عباسي العوبه بيد الامير البويهي يجعل هذا الامير محتفظاً بولاء الجند له٠

٠٣أستمرت عادة خلع الخلفاء وتنصيب خلفاء جدد غيرهم ، فبعد دخول شهر واحد على دخول معز الدوله بغداد خلع الخليفه المستكفي بالله متهماً أياه بالتأمر حيث دخل عليه جنديان من الديلم وسحباه من مجلسه وربطا عمامته في رقبته واوصلاه الى دار معز الدولة حيث خلع وسملت عيناه ونهبت داره ، وحدث الشيء نفسه للخليفة الطائع مع بهاء الدوله البويهي٠(٣)

٠٤ أصبح الخليفه رئيساً روحياً فقط٠

٠٥أن القاب الامراء البويهين تدل على عظمة نفوذهم وكانوا يضطرون الخليفة لاعطاء هذه الالقاب مثل معز الدولة وعماد الدولة وركن الدولة ، وعضد الدولة ...(٤)

٠٦ شارك البويهيون الخليفه في الخطبه وزادوا بأن خطب لهم في بغداد .

٠٧ أستمرت ظاهرة الاحترام للخليفة أمام الناس بوصفه زعيم المسلمين .(٥)

---

(١)الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ/١٣٤٨م)،سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من الباحثين، ط٩(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢م)،ج١٥ ،ص١٠٦ .

(٢)ينظر :فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص٣٧–٣٨ .

(٣) الزركلي ، الاعلام ،ج٤ ،ص١٠٤ .

(١)الامين،محسن،أعيان الشيعة،تحقيق:حسن الأمين(بيروت،دار التعارف للمطبوعات،١٩٨٣م)،ج٥،ص ٢٩.

(٢) فوزي (واخرين)،النظم الاسلامية،ص٣٨ .

الخلافة في فترة السيطرة السلجوقيه (٤٤٧ – ٥٩٠ هـ)(١):

ظهر أمر السلاجقه منذ حوالي سنة ٤٢٠ هـ /١٠٢٩ م حيث أستطاع طغرل السلجوقي أن يكون له نفوذاً سياسياً في خرسان ثم أمتد هذا النفوذ ليشمل بلاد فارس والعراق وقد أستنجد الخليفة العباسي القائم بطغرل السلجوقي بعد أن تدهور نفوذ البويهين وهكذا حل النفوذ السلجوقي محل البويهي في بغداد سنة ٤٤٧ هـ . والمعروف أن السلاجقه كانوا سنيين وهذا يعني بأن السلاجقه يعترفون بحق العباسيين في الحكم بعكس البويهين ولكن حالة الخلفاء أيام السلاجقه لا تختلف كثيراً عن حالتهم في أيام البويهين ، فقد كان الخليفه يعيش على موارده من قطاعاته الخاصه . على أن السلاجقه أحترموا الخليفة العباسي أكثر من أحترام الامراء البويهين. ويدل على ذلك تبادل الهدايا والخلع بين الطرفين في المناسبات الرسمية ، حتى ارتبط البيتين العباسي والسلجوقي برباط المصاهرة ، فقد تزوج طغرل من أبنة الخليفة القائم ، وتزوج المقتدى من أبنة السلطان السلجوقي الب ارسلان ، وتزوج المستظهر من أبنة السلطان ملكشاه.(٢) لكن هذا الامر لم يخلو من تصادمات راح ضحيتها بعض الخلفاء العباسين ، كما حدث للخليفة المسترشد بالله الذي حاول أن يستعيد سلطتة الدنيويه فحذره السلطان السلجوقي وارسل له جيشاً قوياً مما حدا بالخليفة الى التراجع عن نواياه ، كما تحدى السلاطين الخليفه واتخذو لقب (ظل الله) وهو لقب من القاب الخليفة العباسي.(٣)

الخلافة العباسية في عصر الانتعاش الاخير (٥٩٠ – ٦٥٦ هـ):

أن الخلفاء العباسيين وجدوا الفرصه سانحه حين دب الخلاف بين أفراد الاسرة السلجوقيه فنشطوا للتخلص منهم واستعانوا بالدولة الخوارزمية في المشرق للقضاء نهائياً على النفوذ السلجوقي وبدء عصر الانتعاش الجديد في الخلافة العباسيه سنة ٥٩٠ هـ/ ١١٩٤ م أذ استطاع الخليفة العباسي (الناصر لدين الله) انهاء النفوذ السلجوقي سنة ٥٩٠ هـ ، وانجز أصلاحات مهمه عن طريق أستقلال الخلافه واستعادة هيبتها من السيطرة السلجوقيه ، فجمع الخليفة تحت

---

(٣)ينظر :فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص٣٩ .

(٤) ابن الاثير ،الكامل في التاريخ،ج١٠،ص٤٨٣ .

(٥) فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص٣٩.

لواءه حكام الاقاليم وامراء المقاطعات فزاد من عوامل التماسك في الخلافة العباسيه . فبقيت الخلافة مستقله أكثر من نصف قرن حتى سقطت على يد المغول سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨م.(١)

شارات الخلافة :

١. المنبر :يعتبر من اول شارات الخلافة واقدمها،وقيل ان الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) اوجده في المسجد منذ السنة السابعة او الثامنة للهجرة، واستعمله في المناسبات الدينية والخطب السياسية. ٢. الخطبه :تتضمن الخطبة ذكر اسم الخليفة في خطب الجمعة والمناسبات الدينية – والسياسية كرمز للولاء والطاعة للخليفة. ٣. الحرس ٤. الحاجب ٥. الخاتم (الختم الرسمي للخليفة أو الدولة) ٦. السكه ٧. التاج : (هو لباس الرأس الخاص بالخليفة) ٨.السرير : وهو عرش الخلافة الذي يجلس عليه الخليفة ٩. الشمسية (وهي المظله التي تحميه أثناء تجواله) ١٠. القضيب (وهو الصولجان الذي يحمله الخليفة) ١١. الكسوة :(وهو غطاء الكعبة) ١٢. البردة (وهي البردة أو العباءه التي كان يرتديها الرسول (صلى الله عليه وآله) والخلفاء ١٣. المقصورة : وهي الحاجز الخشبي في المسجد يعزل الخليفة عن الجماعه لمنع الاغتيال (خاصة بعد الخلافة الراشدة لاغتيالهم).(٢)

الفصل الثالث

نظام الوزارة وتطوره

أصل الكلمة واشتقاقها وتطورها:

---

(١) فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية ،ص٣٩ .

(٢) ينظر :فوزي (واخرين)،النظم الاسلامية، ص٤٠-٤٢ ؛الرفاعي،انور ،النظم الإسلامية ،(دمشق،دار الفكر،١٩٧٣م)،ص٤٧-٤٩ .

أختلف اللغويون والمفسرون والكتاب في أشتقاق لفظ الوزارة على أقوال فقيل هي مأخوذة من الوزر(بفتح الواو والزاي) وهو الملجأ لان الملك أو الخليفة يلجأ الى رأي الوزيرومشورته (١)، وقيل أنها مأخوذة من الازر وهو الظهر لان الخليفه يقوى ويستند الى وزيره كما يستند البدن الى الظهر وكما ورد في القرآن الكريم ((واجعل لي وزيراً من اهلي هارون أخي أشدد به أزري واشركه في أمري))(٢) ويرى آخرون أنها مشتقه من الوزر (بكسر الواو وسكون الزاي)وهو الثقل لان الوزير يحمل عن الخليفة أثقاله ومسؤولياته .(٣)

تعد كلمة وزير عربية الاصل ، فقد أستعملها العرب قبل الاسلام في أشعارهم ، كما سمت بها أبناءهم، مما يدل على شيوع الكلمه واستعمالها لدى العرب قبل الاسلام .(٤)

امافي عهد الرسالة فقد وردت عند الامامية على وجه الخصوص ، بإن النبي (صلى الله عليه وآله) لقبَ علي بن ابي طالب (عليه السلام) بالوزير.(٥)

وفي العصر الاموي (٤١ – ١٣٢ هـ) وردت كلمة وزير في نصوص متعددة وبمعان مختلفة .كما وردت في رواية تأريخية أن محمد بن الحنفيه سمى المختار الثقفي ((وزيري وامينـي)) وتأتي هنا بمعنى المندوب والممثل .(٦)

كما ذكر أن عبد الحميد الكاتب تولى الوزارة لمروان بن محمد (١٢٧– ١٣٢هـ).(٧)

ولابد من الاشارة الى أن هناك من أرجع الكلمه واشتقاقها الى أصل فارسي (ساساني) وأن نظام الوزارة في تطوره قد تأثر الى درجة كبيرة بظروف البيئه العربية الاسلامية في فترة نشوئه الى أن

---

(١)العسكري،ابو الهلال الحسن بن علي بن عبد الله(ت ٣٩٥هـ)،معجم الفروق اللغوية،(قم، مؤسسة النشر الاسلامي،١٤١٢هـ)،ص٥٧١ ؛فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص٤٦؛الرفاعي،النظم الاسلامية،ص٥١؛ا اليوزبكي،توفيق ،دراسات في النظم العربية الاسلامية،ط٢(الموصل،مطبعة جامعة الموصل،١٩٧٩م)،ص٩٧.

(٢) سورة طه ، اية ٣١ .

(٣)الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب(ت٤٥٠هـ)،الاحكام السلطانية والولايات الدينية، وبهامشه:اقباس الانام في تخريج احاديث الاحكام الدكتور: خالد رشيد الجميلي(بغداد، دار الحرية، ١٩٨٩م)،ص٣٩؛فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص٤٦ ؛الرفاعي،النظم الاسلامية،ص٥١؛اليوزبكي،دراسات في النظم الاسلامية،ص٩٧.

(٤)فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص٤٧؛الرفاعي،النظم الاسلامية،ص٥١ ؛ اليوزبكي،دراسات في النظم الاسلامية،ص٩٧.

(٥) ينظر : الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ) ،الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية – مؤسسة البعثه(قم، مؤسسة ودار البعثة، ١٤١٧هـ)، ص ٤٢٥ .

(٦)ابن الاثير ، الكامل في التاريخ،ج٤،ص٢١٥ .

(١)فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص٤٧ .

فكرة الوزارة ربما أقتبست من ايران . فقد أشترك الفرس بهذا المنصب وابدعوا فيه على أن الخلفاء عرب والوزراء فرس .(١)

* أن نظرية الوزارة نشأت من اوليات بسيطه وتدرجت في التطور فصنعت الوزارة الاسلامية من الناحية النظرية الى صنفين رئيسين :

اولاً: وزارة تفويض وهي أن يستوزر الخليفه وزير يفوض اليه تدبير الامور برأيه واجتهاده وبهذا يصبح للوزير سلطه مطلقه في الحكم والتصرف والتوليه والعزل واطلاق المال وبذله ، ويجوز لوزير التفويض أن يحكم بنفسه وتقلد الحكام وان ينظر في المظالم وان يتولى الجهاد٠ وكذلك يسميه السيوطي (نائب الملك) من أشهر وزراء التفويض البرامكه (يحيى بن خالد وابناءه الفضل وجعفر) كما أن وزارة الفضل بن سهل الذي سمى ذا(الرياستين) كانت وزارة تفويض في عهد المأمون ٠

ثانيا: وزارة التنفيذ والوزير فيها وسيط بين الخليفة وبين الرعيه والولاة وهو ينفذ اوامر الخليفة ويعرض عليه الامور ليعمل بما يأمر به ، فهو معين على تنفيذ الامور وليس بوال عليها ولا متقلد لها ومن أشهر وزراء التنفيذ وزارة أبي أيوب المورياني في خلافة المنصور.(٢)

وقد ذكر الماوردي (ت٤٥٠هـ) في كتابه (الاحكام السلطانية) الفرق بين وزارة التنفيذ والتفويض ، فأشار الى أن :

١.أن وزير التفويض يباشر الحكم بنفسه وله حق النظر في المظالم

٢.أن وزير التفويض له حق تقليد وتعيين الولاة وعمال الخراج

٣.لوزير التفويض حق تسيير الجيوش وتدبير أمر الحرب

٤.لوزير التفويض حق النظر بشؤون المالية وتعيين جهات صرف الاموال الموجودة في بيت مال المسلمين٠

٥.وتفترق الوزارتين في أربعة شروط : هي الحرية والاسلام والعلم بالاحكام الشرعيه والمعرفة بأمري الحرب والخراج فهي معتبرة في وزارة التفويض وغير معتبرة في وزارة التنفيذ٠

على أنه لا يجوز لوزير التفويض أن يعزل من قلده الخليفه أو أن يولي العهد للخليفة المقبل كما أن باستطاعة الخليفة عزل وزير التفويض متى شاء.(٣)

الوزارة في العصر العباسي الاول:

---

(٢) م .ن ،ص٤٨ ؛اليوزبكي، دراسات في النظم العربية الاسلامية،ص٩٨ و١٠٤.

(٣) الماوردي ،الاحكام السلطانية ،ص٣٩-٤١ .

(١) الماوردي ،الاحكام السلطانية ، ص٣٩-٤١ .

لما انتقلت الخلافة الى العباسيين لم يكن منصب الوزير موجوداً مع معرفة العرب به لذلك فقد ظهر المنصب الى حيز الوجود في الدولة الاسلامية أول مرة في العصر العباسي ٠ فنذكر الروايات التأريخية بأن الجيش العباسي الذي دخل الكوفه في ١١ محرم سنة ١٣٢هـ وسلم على أبي سلمه الخلال في الكوفه وسماه وزير ال محمد وهكذا ظهر المنصب من الناحية العمليه فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة وسمى الوزير وزيراً وكان قبل ذلك يسمى كاتباً أو مشيراً.

أن مسؤوليات الوزير لم تكن في البداية تبعد كثيراً عن مسؤوليات الكاتب في العصر الاموي ولم يكن أبو سلمه الخلال سوى مشاور للخليفة ولم تكن الدواوين كلها بيده ، فقد كان ديوان الجند مثلاً وهو أهم الدواوين ٠ وديوان الخراج بيد خالد بن برمك . (١)

ولابد من الاشارة الا أن المنصور كان حاذقاً قوياً حازماً ينظر في كل صغيرة وكبيرة ولذلك كان الوزير في عهده لا يتعدى عمله التنفيذ وابداء النصح ٠ ومن أشهر وزراء المنصور أبو أيوب المورياني الذي تقلد الدواوين مع الوزارة٠(٢)

ثم الوزير المشهور الربيع بن يونس الذي أشتهر بلباقته وذكائه وحسن سياسته وادى دوراً كبيراً في البيعه للمهدي وبقى وزيراً للمنصور الى أن توفى.(٣)

* أما في عهد المهدي فقد كان عهده عهد أستقرار نسبي من الناحية السياسيه ، وبما أن المهدي كان يميل الى الترف والاسراف لذلك طغت شخصية بعض وزراءه عليه ، مثل يعقوب بن داود ، وابو عبد الله معاوية بن يسار الذي بقى في الوزارة أربع سنوات وفوض اليه تدبير المملكه وادارة الدواوين وكان مستقيماً حكيماً عفيفاً واليه يعود الفضل في ابتداع نظام المقاسمه في الخراج في أرض السواد على الطريقة العينيه ومن وزراء المهدي أيضاً الفيض بن صالح .(٤)

* وفي عهد هارون العباسي ظهرت أبهة الوزارة وتبلور المنصب ، بعد ثقة الخليفة الرشيد بالبرامكه ، فقد أستوزر الرشيد يحيى البرمكي واعطاءه سلطه واسعه حيث أشرف على الدواوين كافة والتوقيعات كذلك ٠ اذ أستعان يحيى بولديه الفضل وجعفر وعن طريقهما أمتد نفوذ البرامكه الى كافة مرافق الدولة ٠ لكنهم سقطوا ونكل بهم الرشيد سنة ١٨٧هـ ٠

---

(٢)فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص٤٨-٤٩.

(٣)الذهبي ، سير اعلام النبلاء ،ج٧ ،ص٢٣-٢٤ ؛الزركلي،الاعلام ،ج٣ ،ص١٣٥ .

(٤) الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ)تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٩٦م)،ج٨ ،ص٤١٢-٤١٤.

(١) فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص٥٠-٥١ .

* أما في زمن المأمون أصبح الفضل بن سهل نفوذ واسع حيث تلقب (ذا الرئاستين) أي الحرب والتدبير.(١) وكانت وزارة الفضل بن سهل وزارة تفويض أذ قال له المأمون (لقد جلعت لك رتبه من يقول في كل شيىء فيسمع منه ولا تتقدمك مرتبه أحد ما لزمت ما أمرتك به من العمل لله ولنبيه والقيام باصلاح دولة أنت ولي قيامها) فسار الفضل بذلك على سيرة البرامكه ٠ وكذلك المأمون تخلص منه سنة (٢٠٣ هـ).(٢)

الوزارة في العصر العباسي الثاني:

مرت الوزارة بتجارب قاسيه في هذا العصر حتى انها كادت تزول في فترة التسع سنوات المضطربه (٢٤٧ – ٢٥٦هـ) أي من مقتل المتوكل الى مجيء المعتمد ٠ كما أن الوزارة أصبحت منصباً شكلياً في فترة أمرة الامراء (٣٢٤-٣٣٤هـ) فلقد أدى أزدياد نفوذ الجيش في السياسه الى تعاظم سطلة القادة العسكريين الاتراك فضعفت الوزارة واصبحت وراثيه أنحصرت في أسر معينه مثل أسرة خاقان واسرة الفرات واسرة ال وهب٠

أما صلاحيات الوزير خلال هذه الفترة فقد أنحسرت تدريجياً حتى غدت مسؤوليتهم الوحيدة الاشراف على موارد بيت المال وتأمين الحصول عليها٠

ولابد من الاشارة أن القادة العسكريين الاتراك لم يتركوا منصب الوزارة تعففاً ونزاهه بل أدركوا أن منصب الوزارة بما فيه من أصول أداريه واجراءات معتمدة تتعلق بالسجلات والدواوين لا يناسب العسكر ولا يقدرون على واجباته ومن أشهر وزراء عصر النفوذ التركي أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات ، وكان ال فرات يتمتعون بنفوذ يشبه نفوذ البرامكه وبني سهل وقد تقلد علي بن الفرات الوزارة ثلاث مرات ٠ ومن الوزراء المشهورين أيضاً علي بن عيسى ال الجراح وهو من أسرة كتاب تدرجت في الدواوين كذلك حتى أصبح وزير للمقتدر٠

وان سياسة المقتدر الضعيفة اذ تدخل الجيش وتدخل الحريم ادى الى ظهور وزراء ضعفاء أمثال محمد أبن مقلة وزاد التصادم بين الوزارة وقادة الجيش الترك مما أضطر الخليفه الراضي(٣٢٢ – ٣٢٩هـ) الاستنجاد بمحمد بن رائق الذي أصبح أمير الامراء وساءت منزلة الوزارة فلم يعد لهم نفوذ واقتصر عملهم على الظهور في المواكب الرسميه والاحتفالات ولم يكن الوزير ينظر في شيىء من أمر الدواوين أو الولايات ٠ بل صار أبن رائق وكاتبه ينظر في الامور جميعها ٠ كما أن أمير الامراء تدخل في تعيين الوزراء وعزلهم (٣)٠ ولكن صاحب الاحواز نافس أبن رائق مما

---

(٢) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ،ج٦،ص١٩٧؛الزركلي ، الاعلام ،ج٥،ص١٤٩ .

(٣) ينظر :فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص٥٢-٥٣ .

(١)ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج٨،ص٣٢٢-٣٢٣.

أدى الى ضعف الاخير حيث أستطاع قائد عسكري تركي أن يحل محله ويدخل بغداد ويلقب بامير الامراء ، وكان أسم القائد الجديد بجكم التركي أما محمد بن رائق فقد فر الى الشمال (الموصل)٠

ولكن البريدين هاجموا بغداد ونهبوها ففر الخليفة الى الشمال حيث يحكم الحمدانيون فطمع الحسن بن حمدان بمنصب أمير الامراء فأغتال محمد بن رائق وحل محله ٠ ولقب الحسن بن حمدان (ناصر الدولة) سنة ٣٣٠ هـ ٠ فأنتهز الخليفة المتقي فرصة رحيل ناصر الدولة الى الموصل واستنجد بتوزون القائد الديلمي وعينه أمير الامراء سنة ٣٣١هـ .الا أن توزوز لم يتمتع بسلطنه كثير حيث توفي سنة ٣٣٤ هـ.(١)

مميزات الوزارة خلال العهد البويهي(٣٣٤ – ٤٤٧ هـ)(٢):

١.أن الامراء البويهين حرموا الخليفة من تعيين وزير له وعينوا كاتباً بدله لاداء شؤونه واقطاعاته المحدودة٠

٢.أتخذوا وزراء لانفسهم أي أصبح للامير البويهي وزير وللخليفة كاتب فقط٠

٣.أن أمراء بني بويه أدخلوا تعديلاً مهماً في الوزارة لم يكن معروفاً من قبل الاوهوأتخاذ وزيرين فقد أتخذعضد الدولة وزيرا ًله بفارس واخر جعل مقره بغداد

٤.أمتداد صلاحيات الوزير البويهي لتشمل الامور الحربية وقيادة الجيوش فضلاً عن صلاحياته السياسيه والادارية٠

٥. من وزراء بني بويه المشهورين : أبو محمد الحسن المهلبي أبن أبي صفره حيث ولاه معز الدولة الوزراء سنة ٣٣٩هـ وبقي في الوزارة ثلاثة عشر سنه وكان مشهوراً بمقدرته الادارية والعسكرية أيضاً٠ ومن الوزراء المشهوين أيضاً أبو الفضل محمد بن العميد الذي أتخذه ركن الدولة الحسن بن بويه وزيراً له.(٣) وقد تقلد الوزارة بعده أبنه أبو الفتح الذي ورث أباه في المواهب الاداريه والقابليات الادبيه واستوزره مؤيد الدولة بن ركن الدولة ولقبه (ذا الكفاءتين) لمهارته الحربيه وكفاءته السياسيه ٠

٦. أن منصب الوزارة أصبح موضع مساومات في نهاية القرن الرابع الهجري فبعد وفاة الصاحب بن عبادة سنة ٣٨٥ هـ كتب قائد الجيش في جرجان الى الامير البويهي فخر الدوله يطلب الوزارة مقابل مبلغ من المال قدره (٨) ملايين درهم فلما سمع ذلك الوزير أحمد بن ابراهم دفع

---

(٢)ينظر: فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص٥٤-٥٧ .

(٣) م . ن ، ص٦٠-٦٢ .

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ،،ج٨،ص٣٦٥.

(٩) ملايين على أن يحتفظ بمنصبه ، فقرر الامير البويهي فخر الدولة أن يشركهما في الوزارة .

٧. عظم شأن الالقاب في هذه الفترة وكان من مميزات الوزارة التلقب بالالقاب الطويله الرنانه ، كـ(فلك الملك)(١) وتلقب آخر بلقب(ذو السعادتين وزير الوزراء تاج الملك)(٢)وتلقب آخر (فخر الدولة فلك الامة كافي الكفاة)(٣)

٨. شيوع مصادرة اموال واملاك الوزراء بعد عزلهم ، وهي أداريه أستغلها البويهين أبشع أستغلال (٤).

الوزارة في فترة السيطرة السلجوقيه (٤٤٧ – ٥٩٠ هـ):

١.ظهور أهمية الوزارة ثانية في أدارة شؤون الدولة . وقد ظهرت أسر توارثت الوزارة أذ اعتمد السلطان السلجوقي نفسه على وزيره في الادارة والسياسه التي لا يعلم من أصولها شيئاً لان السلطان كان مهتماً بأمور الحرب والجيش ، كما عرف منهم بدواتهم وعد تحضرهم .

٢.تشجيع الوزراء للتألف في علوم الفقه والكلام للرد على خصومهم العقائديين وكذلك تشجيع الوزراء لتأسيس المدارس لنفس الغرض.

٣.أستمرار الوزراء السلاجقه في قيادة الجيوش والاشراف على العسكر ، كما كان الحال في فترة النفوذ البويهي.

٤.شيوع مصادرة أموال الوزراء أو حبسهم عند عزلهم .

٥.من أشهر وزراء هذه الفترة : الوزير فخر الدولة أبن جهير الذي تزوج أبنه نظام الملك وزير السلطان ملك شاه وقد خلفه في الوزارة أبو شجاع الذي كان سياسياً ماهراً يجلس للمظالم بنفسه ، وكان أبو شجاع مؤرخاً الف كتاب (ذيل تجارب الامم لمسكويه) . ومن الوزراء الاخرين الشريف ابو القاسم علي نقيب النقباء ، وكان وزيراً للخليفة.المسترشد، وأدى الوزير أبن هبيرة دوراً كبيراً في قيادة الجيش والقضاء على السلاجقه في العراق .

---

(٢)فلك الملك ابو المعالي نصر بن منصور الهمذاني الوزير،وزر بهمذان للملك مجد الدولة بن فخر الدولة بن ركن الدولة ،مدحه عبد الصمد بن بابك سنة٤٠٦هـ(ينظر:الامين ،اعيان الشيعة ،ج١٠،ص٢١٠).

(٣)الحسن بن منصور ،ابو غالب السرافي ،وزيرالسلطان ابن بويه(ينظر: الذهبي،تاريخ الإسلام،تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمرى،ط١،(بيروت – دار الكتاب العربي،١٩٨٧م)،ج٢٨،ص٢٩٦؛ الامين ، أعيان الشيعة ،ج٥،ص٣١٨ .

(٤)وهو وزير الخليفة الطائع لقبه بذلك(ينظر:ابن الاثير،الكامل في التاريخ،ج٩،ص٥٩؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام،ج٢٧،ص٢١).

(٥) ينظر :فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص٦٠-٦٢ .

٦.ومع القضاء على سلطة السلاجقه زاده مكانة الوزراء المركزية مع زيادة نفوذ الخليفه العباسي ، كما زادت القابه الطنانه ، أما أختصاصاته فباتت واسعه جداً .(١)

صلاحيات الوزير في العصور العباسيه المتأخرة يمكن أجمالها بما يأتي:

١.النظر في الدواوين كلها ، وتوليه وعزل صدور هذه الدواوين.

٢.تبليغ القضاة بقرار الخليفة بتوليهم وخلعهم ، ويخلع عليهم في دار الوزارة

٣.تبليغ نقباء العباسيين والعلويين وقراءة عهدهم والخلع عليهم .

٤.يتولى الوزير أخذ البيعه للخليفة عند توليه والاشراف على المراسيم الخاصه بذلك.

٥.أستعراض الجيوش في المناسبات ، وقيادة العسكر لقمع الفتن والاضطرابات في الاقاليم التابعه للخلافة .

٦.أستقبال أمراء البلاد المجاورة أو رسلهم قبل تشرفهم بمقابلة الخليفة ، وقد ظهر العديد من نواب الوزراء الى جانب الوزراء لمساعدة الوزير في تسيير أموره . وكان عددهم كبيرحتى بلغ في عهد الناصر تسعة نواب للوزير.(٢)

الفصل الرابع

النظام الاداري وتطوره

الكتابة:

ظهرت وظيفة الكتابة في الدولة العربية الاسلامية في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) في المدينة ،وكانت طائفة من الصحابة على معرفة بإلكتابة كـ علي بن ابي طالب (عليه السلام) وزيد بن ثابت ... وغيرهم حتى قيل ان عدد الكتبة بلغ اثنين واربعين رجلاً ، فهناك

---

(١) فوزي (واخرين)،النظم الاسلامية،ص٦٣-٦٥ .

(٢) م . ن ، ص ٦٦ .

كتاب العهود (العهود والمعاهدات والمصالحات) ، وكتاب الوحي والتي اشتهر بهما علي بن ابي طالب (عليه السلام)، وهناك كتاب الصدقات ، وكتاب الغنائم .

اما في خلافة ابي بكر وعمر(رض) اتخذا من عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن الارقم(رض) كتاباً لهما .وفي حلافة عثمان بن عفان اتخذ من مروان بن الحكم كاتباً له. (١) كما كان يكتب لعلي بن ابي طالب (عليه السلام) سعيد بن نجران الهمداني ، وعبد الله بن جبير .وكان هولء يأخذون بوصايا الخلفاء في نمط كتاباتهم فهذا عبيد الله بن ابي رافع كان يصلح المداد ويعهد سن قلمه ويقرب بين الحروف عملاً بوصية الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) عندما قال له :" يا عبيد الله ...واطل جلفة(٢) قلمك وفرج بين السطور وقرمط(٣)بين الحروف فغن ذلك اجدر بصباحة الخط" (٤)

ولماانتقلت الخلافة الى الامويين حدث تطور في وظيفة الكتابة ، فتعددت الكتابة لتعدد مصالح الدولة . فكان لمعاوية طائفة من الكتاب : كاتب الرسائل ، وكاتب على ديوان الخراج ، وكاتب على ديوان الجند ، وكاتب على ديوان الخاتم ، وعلى القضاء وعلى الشرطة ، وعلى المظالم . وكان عمر بن عبد العزيز يأمر كتابه بجمع الخط كراهية استعمال الطوامير (الصحف) فكانت كتبه عبارة عن شبر او نحوه .(٥)

وفي العصر العباسي كانت الكتابة صناعة اختص بها من يحسنها وهي فن رفيع ، ومن اشهر كتابهم :الفضل بن الربيع في عهد الرشيد ، واحمد بن يوسف في عهد المأمون، واشتهر محمد بن عبد الله بن الزيات في عهد المعتصم والواثق . وكان الكتاب من المثقفين العلماء والادباء .

ولابد من الاشارة الى ان للوزير كاتب يتولى الكتابة له احياناً ، وفي عهد الفاطميين كانت الكتابة تلي الوزارة مرتبة اذا ما ساواه احياناً. وهكذا كانت الكتابة من الوظائف الادارية المهمة في الدولة العربية الاسلامية.(٦)

الدواوين :

---

(١) اليوزبكي،دراسات في النظم العربية الاسلامية،ص١٠٠-١٠١.

(٢)جلفة القلم بكسر الجيم ما بين مبراة وسنته .

(٣) القرمطة بين الحروف هي المقاربة بينها وتضيق فواصلها .

(٤)الامام امير المؤمنين،علي بن ابي طالب(عليه السلام)(ت٤٠هـ)، نهج البلاغة- جمعه الشريف الرضي ، تحقيق وشرح : الشيخ محمد عبده ،ط١،(قم،مطبعة النهضة ،١٤١٢هـ)،ج٤،ص٧٥ .

(٥)الذهبي ، سير اعلام النبلاء ،ج٥ ،ص١٣٣ .

(١)ينظر: اليوزبكي، دراسات في النظم العربية الاسلامية،ص١٠١-١٠٢ .

يراد بالديوان الموضع الذي يكون مكاناً لجلوس الكتاب وحفظ السجلات ، ويراد به السجلات نفسها . وتجدر الاشارة الى ان عمر بن الخطاب(رض) استشار المسلميين في تدوين الدواوين ، فقال له علي بن ابي طالب (عليه السلام) "تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من المال ، ولا تمسك منه شيئاً " ، فدون الديوان .(١)

فظهرت الدواوين نتيجة الى حاجة المسلمين الى التنظيم العسكري والمالي وبدأت بطبيعة الحال بسيطة ومحددة ثم نمت وتطورت ، فهناك **الدواوين المركزية** التي أنشأها المسلمون أنفسهم وكانت في العاصمة ، وهناك **الدواوين المحليه**(في البلاد التي فتحها العرب) وهي أستمرار للدواوين التي سبقتها ، ولقد أبقاها المسلمون على وضعها الاول في بداية الامر ولذلك بقيت تستعمل اللغات المحلية غير العربية كالفهلوية في العراق وبلاد فارس ، واليونانية في الشام والقبطيه في مصر ، حتى تم تعريبها في عهد الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان وقيل أستمرت الى أبنه الوليد. وتجدر الاشارة الى ان التعريب يعني استخدام اللغة العربية بدلا من اللغات الاجنبية .(٢)

تجمع بعض المصادر على أن أول تدوين للدواوين في الاسلام حصل على يد عمر بن الخطاب ، وكان الدافع لذلك كثرة الاموال الواردة من الفتوحات ، ولحاجة الى تنظيم توزيعها على المقاتله.

أما منشأ فكرة تأسيس الديوان فيختلف فيها المؤرخون ، فقيل أن الديوان الاول كان (ديوان للجند) الذي أنشأ في المدينه وكان أهم عمله توزيع العطاء على المقاتله الاولين وعلى المهاجرين الجدد ، فعمل عمر بن الخطاب على تصنيف المسلمين الى مراتب حسب القرابه من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والقدم في الاسلام والخدمة للاسلام ثم الحاجة .(٣)
والى جانب هذا الديوان ، كانت هناك بيت المال وفيه توزع الاموال الواردة من الغنائم والجزية والخراج والصدقات (والتي سيأتي الحديث عنها أنشاء الله في صفحات قادمة)، فكان هناك دواوين صغيرة للخراج والنفقات ، واستعمال بعض الكتاب لكتابة الرسائل .

---

(٢) ابن ابي الحديد ، ابو حامد عبد الحميد بن هبة الله (ت٦٥٦ هـ)،شرح نهج البلاغة ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم (بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٥٩م)،ج١٢،ص٩٤؛ العسكري،مرتضى،معالم المدرستين (بيروت،مؤسسة النعمان،١٩٩٠)،ج٢،ص٨٥؛ كاظم ،عبد الامير(الدكتور)،الضرائب الثابتة في الاقتصاد المالي الاسلامي(بيروت ، ١٩٩١م) ،ص٤٠ .

(٣) فوزي (واخرين) ،النظم الاسلامية ،ص٧٨-٨٨ ؛ اليوزبكي،دراسات في النظم العربية الاسلامية،ص١٣٦ و ١٤١ .

(١) الدوري ،عبد العزيز (الدكتور)، النظم الاسلامية ،(بغداد ،بيت الحكمة،١٩٨٨م)،ص١٣٩-١٤٠ ؛ الرفاعي ، النظم الاسلامية ،ص٨٢ ؛ اليوزبكي ، دراسات في النظم العربية الاسلامية ،ص١٣٣-١٣٤ .

- وعندما جاء الامويين وتوزعت الاعمال وتعددت الحاجات فتطورت الدواوين وكثرت واستمر تطورها خلال العصر الاموي وبعده العصر العباسي .

أهم هذه الدواوين خلال العصر الاموي(١):

١ . ديوان الخراج : هو من أهم الدواوين في الدولة العربية الاسلامية ويتولى تنظيم الخراج وجباية ، وكان الكاتب الاول فيه سرجون بن منصور الرومي حيث كانت اللغه قبل تعريبها يونانية في بلاد الشام .

٢.ديوان الجند هو سجل يحفظ فيه أسماء المقاتل واوصافهم وانسابهم ومعطياتهم واعطياتهم

٣ . ديوان الخاتم : كان معاوية أول من أنشأ هذا الديوان على أثر تزويد حصل في الرساله الى زياد بن أبيه أمر فيها باعطاء حاملها مائة الف درهم فبدل حاملها المقدار الى مائتي الف درهم وفي هذا الديوان تحفظ نسخه من رسائل واوامر الخليفة الادارية والعسكريه بعد أن تختم النسخه الاصليه بالشمع .

٤.ديوان الرسائل : المعروف أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أستخدم عدة أشخاص لكتابة سجلات الدولة وظلت العادة متبعه في عهد الراشدي ، وفي العهد الاموي أسس ديوان الرسائل ، وهو عبارة عن هيئه ادارية للمكاتبات الرسمية تقوم بتحرير رسائل الخليفة الى الولاة ورسائله الدبلوماسيه الى الخارج .

٥.ديوان البريد: كان معاويه بن أبي سفيان أول خليفة ينشىء نظام البريد على أنه كان مخصص لخدمة الدولة لا الناس فالهدف من انشاءه رسمي٠ فيقوم بنقل الاخبار بين العاصمة والاقاليم كما انه كان ينقل حاجات الدولة ويشرف على المسالك والطرق ويرسم الخرائط المناسبه للاقليم .

٦. ديوان النفقات: كان هذا الديوان يتصل مباشرة ، ببيت المال اتصالاً وثيقاً ولعله أتضح في عهدسليمان بن عبد الملك ، فكانت مهمته النظر في المصروفات كافة التي تنفق علي الجيش والخدمات العامة والادارة .

٧.ديوان الصدقات: وينظر في موارد الزكاة والصدقات وتوزيعها الى مستحقيها .

٨. المستغلات: وكان ينظر في أدارة ممتلكات الدولة غير المنقولة من عمارات وابنية .

---

(٢) ينظر :الدوري،النظم الاسلامية،ص١٤٦-١٤٨؛ فوزي (واخرين)،النظم الاسلامية،ص٨٠-٨٢ ؛ اليوزبكي ، دراسات في النظم العربية الاسلامية ،ص١٣٦-١٤٠ .

٩.ديوان الطراز : ومهمته الاشراف على المصانع التي تنسج الملابس الرسمية والشارات والاعلام وذكر الجهشياري أول مرة ظهر عندما يتكلم عن هشام بن عبد الملك وقيل في عهد أبيه عبد الملك بن مروان .

- **عمليات التعريب الادارية :**

أن أهم ما قام به الامويون من الناحية الادارية هو تعريب ديوان الخراج ، فسبق واشرنا الى أن الدواوين كانت تحفظ سجلاتها باللغه الفارسية بالعراق ، واليونانية في الشام ، والقبطية واليونانية أيضا في مصر ٠

كان أول من قام بهذه العمليه الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان في العراق واستمرت عملية التعريب في عهد خليفته الوليد بن عبد الملك ، حيث عربت دواوين مصر تم تبعتها دواوين الاقاليم الشرقية ولاسيما خراسان ، في ولاية نصر بن سيار، وكانت عملية التعريب في حقيقتها عملية ترجمة منظمة حيث نقلت المصطلحات الفارسيه واليونانية والقبطيه الى اللغه العربية، وهكذا أصبحت اللغه العربية لغة الادارة أيضا.(١)

الادارة في العصر العباسي(٢):

٠١ ورث العباسيون التراث الاداري الاموي ولكنهم طوروه حيث مال العباسيون الى المركزية في هذه الدواوين بحيث يرجع عمالها الى المركزية (الخليفة) عكس الاموي التي امتازت الادارة فيها بالامركزية فقد اعطت الولاة صلاحيات واسعه في أدارة هذه الدواوين دون الرجوع الى العاصمة .

٠٢ وغدا الوالي العباسي يحف نفسه بعدد من العلماء والقضاة يستعين بهم على أدارة اقليمية

٠٣ وفي خلافة ابي العباس السفاح حدث تنظيم في السجلات الادارية بانها جعلت في دفاتر مجتمعه بدل ان تكون في صحف متفرقة ، وقد قام بهذا العمل خالد البرمكي ٠

٠٤ ونتيجة لمصادرة أموال وممتلكات الامويين أصدر الخليفة العباسي (السفاح) أمر بانشاء ديوان المصادرات ٠

٠٥ وفي خلافة المنصور وبعد أن بنى مدينة بغداد ، نقل المنصور اليها كل متعلقات الادارة من ديوان بين المال ، وخزانة السلاح ، وديوان الرسائل ، وديوان الخراج ، وديوان الخاتم والجند، والنفقات ، **وديوان الاحشام** : وهو الديوان الذي يقوم بخدمة حاجيات البلاط ويراعى موظفيه ،

---

(١)فوزي (واخرين)،النظم الاسلامية ،ص٨٢-٨٣ ؛ اليوزبكي،دراسات في النظم العربية الاسلامية، ص١٤٠-١٤١ .

(٢)ينظر : الدوري، النظم الاسلامية،ص١٤٩-١٥٨ ؛ فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص٨٦-٨٩ .

وكذلك نقل الى العاصمة بغداد ، ديوان الحوائج (ديوان المظالم) ومهمته جمع العرائض من المتظلمين وتنسيقها وتقديمها الى الخليفة للنظر فيها وكذلك ديوان الصدقات : الذي ينظر كما أسلفنا في الزكاة والصدقات وتوزيعها . فالدواوين العباسية في غالبتها تطور طبيعي للدواوين الاموية ، مع بعض الاستحداثات ٠

٠٦ في عهد المهدي العباسي أحدث (ديوان الازمة) أي التفتيش ومهمتها الاشراف الاداري على اعمال الدواوين المركزية ومراقبة الناحية المالية منها ، كما أصدر المهدي ديوان زمام الازمة مهمته الاشراف على رواتب الازمة ، وتنظيم اعمالها وسمي هذا الديوان سنة ١٦٨هـ، ديوان (زمام الازمة).

٠٧ هناك ديوان الضياع في (عهد الرشيد) ومهمته النظر في ا دارة الضياع الخاصة بالاسرة الحاكمه العباسية ، وكانت هذه الضياع واسعة تشمل كل أقاليم الدولة العربية الاسلامية ٠

٧. وظهرت دواوين أخرى جديدة بعضها لاغراض وقتيه ، للحاجة اليها ، ومن الدواوين المستحدثه في العصور العباسيه المتأخرة (ديوان الاستخراج) وهدفه تحري فعاليات كبار رجال الدول ووزراء وقادة وولاة وورؤساء الدواوين فيما يتعلق باملاكهم وضياعهم ومصادرها والنظر فيها. وهناك (ديوان الخاصة) واختصاصه أدارة املاك الخليفة وعقاراته وتسجل أمواله واموال ورثته من بعده من الامراء ٠كما استحدث في تلك الفترة ديوان خاص يحفظ أسماء الذين صودرت أموالهم من رجالاتالدولة وسمي (ديوان المصادرات)٠

٨. وفي العصور العباسية التالية تغييرت أسماء بعض الدواوين فديوان الخراج مثلاً أصبح يسمى المخزن وصاحبه (صدر المخزن) ، وديوان الضياع والنفقات سمي ديوان المقاطعات

١٠.وفي عهد المأمون ظهر ديوان خاص كان في السابق شعبه من ديوان بيت المال ، وهو ديوان الجهبذة ةمهمته تدقيق الحسابات لبيت المال والاشراف على نوعية الموارد التي تكون بيت المال واصدار قائمة سنوية خاصه بذلك.

١١.وفي عهد المعتصم ظهر(ديوان الموالي والغلمان)خاص بتنظيم شؤون الخدم الترك الذين جلبهم المعتصم من أسيا الوسطى،وتبلور هذا الديوان في زمن المتوكل وتشعبت أختصاصاته.

١٢.وسمي ديوان الجند في عهد المتوكل بأسم (ديوان الجند والشاكريه) نسبة واشارة الى كثر المرتزقه من أتباع الاتراك والمغاربه وغيرهم.

* الامارة في العصورالعباسية المتأخرة :

ضعفت الادارة في العصور العباسية المتأخرة وتسلط بعضهم على أقاليم ، وتمرد الجند أو قائد على والي الخليفه فعزلوه وعينوا غيره ، وكثير ما يقر الخليفة ذلك ، فظهر أنواع للامارة

على الاقاليم كما ذكرها الماوردي ، وهي **أمارة أستكفاء** : وفيها يفوض الخليفة الى الوالي أدارة الاقاليم فتكون السلطة التنفيذية والعسكرية بيد الوالي، وكذلك جباية الخراج وتقليد القطاع وامامة المسلمين في الصلاة ٠وهناك **أمارة أستيلاء** : وهي أن يستولى أحد الامراء على الولاية فيضطر الخليفة الى أقراره عليها وهذا ما حدث بعد العصر العباسي الاول ، بأعتراف الخلفاء بالاخشيدين والطولونيين والحمدانيين والطاهريين والصفاريين والسامانيين ٠وأمارة ثالثه هي **الامارة الخاصة** : وهي أن يختص الوالي بتدبير الجيش وسياسة الرعية في اقليمه دون أن يعرض للامور المالية والقضائيه بشيء .(١)

الفصل الخامس

النظم المالية والاقتصادية

بيت المال :

يقصد به البيت او المكان الذي يجمع فيه المال حسب اصنافه المختلفة (من زكاة وخراج ومغانم ...) يضعها الخليفة او الوالي فيما امر الله به ان توضع .(٢) فهو الخزينة

(١)ينظر: فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية ،ص٩٠-٩١؛الرفاعي ،النظم الاسلامية،ص٧٦-٧٨ .

(١) كاظم ،الضرائب الثابتة في الاقتصاد المالي الاسلامي،ص٣٧ .

المركزية في العاصمة حيث كانت واردات الاقاليم تجمع في العادة . ومن الطبيعي ان يتفرع من بيت المال دواوين اخرى عديدة كل واحد منها يختص بصنف او اكثر من الواردات ار النفقات . ومن اهم واجبات صاحب بيت المال الاشراف على ما يرد بيت المال من الاموال وما يخرج منها من نفقات ، اذ يجب ان تمر به الكتب التي فيها حمل مال قبل انتهائها الى دواوينها لتثبت فيه...(١)

واردات الدولة التي كانت تجبى إليها :

١. **الزكاة :** وهي كالضريبة التي تؤخذ من أموال المسلمين أذا بلغت نصاباً معيناً ومضى عليها سنه ، وتدفع بنسة ربع العشر ٥ر٢ % تأخذ من الذهب والورق (الفضه) والابل والبقر والغنم والحب(الحنطه والشعير) والتمر والثمار ، وكذلك من البضائع التجارية حيث تؤخذ منها ربع العشر أيضاً . ولابد من الاشارة الى أن الصدقة قد تأتي احياناً مرادفة للزكاة ، وتصرف الزكا ة حسب الايه القرآنيه في سورة التوبه ((**أنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفه قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وأبن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم**)) (٢)(٣)

٢. **الخمس** :وهو خمس الفيء وخمس الغنيمه ، أما **الفيء** فهو كل ما وصل الى المسلمين من غير قتال ، يقسم خمسة أقسام متساوية حسب ما جاء في سورة الحشر ((**ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله خمسه وللرسول ولذي القربىولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة من الاغنياء منكم**))(٤)

أما الغنيمة :فهو ما وصل الى المسلمين عن طريق القتال وتقسم حسب ما ورد في سورة الانفال : ((وعلموا انما غنمتم من شيء فأن الله خمسه ولرسوله ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل))(٥)

ولكن لابد من الاشارة الى وجود أختلاف في تفسير ومعطيات هذا المعنى بين الفقراء حول توزيعها . (١)

---

(٢) فوزي (واخرين)، النظم الاسلامية ،ص١٢٩_١٣٠.

(٣) سورة التوبة ،اية ٦٠ .

(٤) فوزي (واخرين)، النظم الاسلامية ،ص١٠٤-١٠٥ ؛الرفاعي،النظم الاسلامية،ص١٧٣-١٧٧ .

(١) سورة الحشر ،اية ٧ .

(٢) سورة الانفال ،اية٤١ .

٠٣ **العشور** :أخذت الدولة العربية الاسلامية منذ عهد عمرين الخطاب ضرائب على التجارة أشبه ما تكون(بالمكوس) ومقدارها ربع العشر من التجار المسلمين ونصف العشر من تجار أهل الذمه ، أما التجار الاجانب الذين يدخلون من خارج دار الاسلام للتجارة فتأخذ منهم الدولة العشر وكانت الضريبه تؤخذ مره في السنه وكان الموظف الذي يجبى الضريبه يسمى(العاشر).(٢)

٠٤ **الجزية** :وهي الضريبة التي كانت تؤخذ من أهل الذمة مقابل حماية الدولة لهم وضمان سلامتهم واستقرارهم في مدنهم ومناطقهم ، فعرضت الجزية على الرأس وشملت اليهود والنصارى والصابئة والسامرة وحتى المجوس ٠ وكانت الجزيه تسقط بدخول الذمي في الاسلام ، ولذا سميت بجزية الرؤوس وكانت لا تؤخذ ممن جرت عليه الموسى (أي انها تؤخذ من الرجال الاحرار العقلاء) ويعفى منها الصبيان والنساء والشيوخ والمرضى ذو الحالات الخطيرة ، واختلاف مقدارها ، فتؤخذ من الاغنياء (٤٨) درهماًسنوياً او ما يعادلها من الدنانيير (ما قيمته ٤ دنانيير) و(٢٤) درهماً على متوسطي الحال (ما قيمته دينارين)، و(١٢) درهماً من هو دون ذلك (ما قيمته دينار)٠ ويجوز أخذها عيناً بما يعادلها نقداً.(٣)

٠٥ **الخراج** :وهي ضريبة الارض التي كانت تؤخذ عادة على المساحه زرعت أم لم تزرع حسب الشروط التي وضعت عليها ويسمى (خراج المساحة) اذ يفرض على كل محصول مقدار من المال ، وهو ما يسمى (بخراج الوظيفة) أيضاً ٠ أما النوع الاخر الخراج هو خراج المقاسمه ، وهو قسمة المحصول بين من يزرعها ممن فرض عليه الخراج وبين المسلمين.(٤)

٠٦ **أراضي الصوافي:** وهو نوع من الاراضي التي حررت وفتحت ، والتي كانت تابعه بصورة رئيسيه للملوك والنبلاء ورجال الدين الذين قاوموا الجيش الاسلامي ، ثم هربوا أو قتلوا ، فضمت الى بيت مال المسلمين وقيل أستصفيت وجعلت لكل المسلمين وقيل خالصه لنفسه لهذا سميت بهذا الاسم (الصوافي) .(٥)

*(ضرائب اخرى مستحدثه) خلال العصر الاموي والعباسي :

---

(٣)فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص١٠٦ ؛اليوزبكي،دراسات في النظم العربية الاسلامية،ص١٥٠-١٥١.

(٤)فوزي(واخرين)، النظم الاسلامية ،ص١٠٧؛الرفاعي،النظم الاسلامية،ص١٧٣ و١٧٩-١٨١ .

(٥)فوزي(واخرين)، لنظم الاسلامية ،ص١٠٧-١٠٩؛اليوزبكي،دراسات في النظم العربيةالاسلامية،ص١٥١-١٥٦.

(١)فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص١٠٩-١١٤؛اليوزبكي،دراسات في النظم العربية الاسلامية،ص١٥٦-١٥٩ .

(٢)الدوري،النظم الاسلامية،ص٨٥-٨٦ ؛ فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص١١٥ .

تضخمت حاجات الدولة ومصروفاتها وكثرت مطالبها ونفقاتها ظهرت ضرائب أخرى منها :

١. اعاد الامويون هدايا الفيروز والمهرجان وهي ضرائب ساسانيه قديمه الغيت ، ولكنهم اعادوها ٠

٢. كمافرض بعض الولاة الامويين ضريبة على الارض القابله للزراعة زرعت أم لم تزرع.

٣. وفرضت ضرائب على الصناعات والحرف .

٤. فرض ضريبه على الزواج أحياناً .

٥. وقد ظهرت في العصر العباسي ضرائب جديدة منها: ضريبة الاسواق التي وضعت على الحوانيت في عهد المهدي العباسي ٠

٦. وهناك ضريبه الاحداث وهي الغرامات التي تفرض على أصحاب الجنايات

٧. وانشئت المراصد في الموانىء لجباية ضريبة التجارة أو ما يسمى بضريبة السفن الراسيه في الميناء .

٨. ضريبة المواريث التي تجبيها الدولة بنسب معينه من الورثه على ما يرثونه ٠

٠٩ وفرضت ضرائب على المراعي وعلى المنسوجات وعلى الطواحين وعلى الماشية وعلى الصادرات.

ولعل أهم ما يميز الضرائب في العصر العباسي (الثاني) هو سيطرت العناصر الاجنبيه (من تركية وبويهيه وسلجوقية) على مقدرات الخلافة العباسيه بالعراق فكانت الزيادة في الضرائب واستحداثها .(١)

* كما لابد من الاشارة في نهاية هذا الموضوع الى **نفقات(مصروفات) الدولة :**

فبالاضافة الى ما أشرناه من صرف بعضها حسب الشرعيه الاسلاميه من آيات نزلت بحقها، الا أن المعنى العام لهذه النفقات ظل يصرف في : **العطاء:** وهو اعطاء الدوله للمقاتله نسبة معينه من المال نقداً أو عيناً لقاء خدمتهم في الجيش كما كان هناك رواتب للموظفين الذين يعملون في أدارة الدواوين التي أشرنا اليها.وعملت الدولة أيضاً على الخدمات العامة ، من كري الانهاروحفر القنوات ، وبناء المساجد والمدارس والكتاتيب ، والاهتمام بنظافة الدولة، كما كانت للدولة مصانع وصناعات تتعلق بالخدمات والمصالح العامة مثل المنسوجات والورق وغيرها ، واهتمت الدولة بصرف مبالغ على بناء اساطيل في دور صناعة السفن على الخليج العربي

---

(٣) فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص١٢٢-١٢٤؛اليوزبكي،دراسات النظم العربية الاسلامية،ص١٦٤-١٦٥.

والبحر المتوسط ، هذا بالاضافة الى نفقات خاصه بالولاة والخلفاء الامويين والعباسيين أنفسهم (١).

النقود والاوزان :

ان العملة المتداولة في اسواق بلاد الجزيرة العربية متنوعة منها ما كان مضروبا منذ العصر الاموي كالدراهم الهبيرية والخالدية واليوسفية(٢) وهذه ضربت في العراق وحملها الحجاج والتجار الى بلاد الحجاز، ومنها ما ضرب في العصر العباسي(٣). وتختلف مقاييس التبادل والصرف لتلك النقود باختلاف الوزن ونقاء المعدن فمنها ما كان بالوزن ، ومنها ما كان عدداً ، فالدينار بعد ان كان مساويا لعشر دراهم في صدر الاسلام اخذت قيمته تتغير حتى بلغ اثنا عشر ،ثم اصبح خمسة عشر درهما واكثر.(٤) فسعر الدرهم يرتفع ويهبط تبعاً لقيمة الفضة والذهب في السوق ، ولتواجد مصادرها وقربها (أي الفضة والذهب)، فضلاً عن التطورات التجارية .وكانت العملة في العراق تستند الى الدينار والدرهم ، والدينار قطعة ذهبية وزنها مثقال ، واما الدرهم فمن الفضة ووزن الواحد ١٠/٧ من وزن المثقال (أي سبع اعشار الدينار) .

اما دور الضرب فقد كانت بيد الحكومة ومع ذلك كان يحق لكل من شاء ان يأتي بالفضة او الذهب الى دار الضرب لتصك له على ان يدفع اجرة بسيطة تبلغ ١% من قيمة ما يصك وقد ترتفع هذه النسبة في بعض الاحيان .(٥)

---

(١) ينظر :فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص١٢٤-١٢٧؛اليوزبكي،دراسات في النظم العربية الاسلامية،ص١٦٦-١٦٨ ؛الرفاعي،النظم الاسلامية ،ص١٨٤-١٨٦ .

(٢) تنسب الدراهم الهبيرية الى والي العراق في خلافة يزيد بن عبد الملك(١٠١ . ١٠٥ هـ)عمر بن هبيرة،والدراهم الخالدية الى والي العراق للخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ)،خالد بن عبد الله القسري وجاء بعده الوالي يوسف بن عمر الثقفي الذي تولى امرالعراق سنة(١٢٠هـ)الذي عرفت دراهمه باليوسفية وتعد هذه الدراهم اجود نقود بني امية(ينظر:البلاذري، فتوح البلدان ،ج٣،ص ٥٧٦ ؛الكبيسي ، اصول النظام النقدي ،ص ٢٩؛الخفاجي،خضر عبد الرضا جاسم ،الجوانب الاقتصادية والمالية في كتاب فتوح البلدان للبلاذري،رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب ،جامعة بغداد ،٢٠٠٣م ،ص٥٤) .

(٣) ينظر : الكبيسي ، اصول النظام النقدي ، ص ص ٣١ – ٣٧ .

(٤) الكبيسي ، النشاط المصرفي في الدولة العربية الاسلامية ، (بغداد ، بيت الحكمة ، ٢٠٠٠ م) ، ص ص ٧٨ – ٧٩ .

(١) معروف ، ناجي(الدكتور) ،المدخل في تاريخ الحضارة العربية ،(بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٠م)،،ص٧٣ .

اما وحدات الكيل والوزن المستعملة في الاسواق ، فمن المكاييل الصاع ويعادل خمسة ارطال وثلث يعرفه (أي اهل الجزيرة العربية)عالمهم وجاهلهم ويباع في اسواقهم ويحمل علمه قرن عن قرن " (١) واستخدوا كذلك المد والمكوك ، فالمد ربع الصاع والصاع ثلث المكوك(٢).

ومن الاوزان الاخرى فمنها الرطل والاوقية وتستخدم في وزن المواد الغذائية قليلة الكمية كالخبز واللحم وغيرها.(٣)

عملية تعريب النقود :

ان اهم ما يميز هذا العصرالاموي هو ضرب الخليفة عبد الملك بن مروان للنقود العربية الخالصة من أي إشارة أجنبية . فقد أوردت مصادرنا سبب تعريب الخليفة عبد الملك للنقود ، فقال : إن عبد الملك بن مروان كتب في صدور الكتب إلى الروم (قل هو الله أحد) وذكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع التاريخ ، فكتب إليه ملك الروم(٤): ((إنكم قد أحدثتم في قراطيسكم كتاباً نكرهه، فاتركوه ، وإلا أتاكم في دنانيرنا من ذكر نبيكم ما تكرهون)) ، فعظم ذلك عليه فاستشار(٥)،الامام محمد بن علي بن الحسين (عليهم السلام) أي الامام الباقر، فأشار عليه أن يحرم دنانير الروم وأن يضرب للناس سكة فيها ذكر الله تعالى ، فضرب الخليفة عبد الملك الدنانير والدراهم. (٦)ومهما كان رأي المؤرخين والباحثين من إعطائهم سبب تعريب

---

(١) ابوعبيد ، القاسم بن سلام(ت ٢٢٤هـ)،الاموال،تحقيق: محمد خليل هراس(القاهرة،مكتبة الكليات الازهرية، ١٩٦٨)،ص ٦٢ .

(٢) المقدسي ، شمس الدين محمد بن احمد (ت ٣٨٥ هـ)، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، (ليدن،مطبعة بريل ، ١٩٠٦ هـ)، ص ٩٨ .

(٣)الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الطبري ، تحقيق: نخبة من العلماء، (بيروت، مؤسسة الاعلمي، د.ت)، ج٧ ، ص ٤٩٢ .

(٤) يقصد بملك الروم جستنيان الثاني (٦٦ – ٧٦ هـ / ٦٨٥ – ٦٩٥ م) (ينظر : فهمي ، فجر السكة العربية ، ص ٤٢) .

(٥) وقيل الذي اشار عليه : خالد بن يزيد بن معاوية (ينظر: ابن الاثير ،الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٤١٦ – ٤١٧).

(١) البيهقي ، إبراهيم بن محمد (ت ٤٧٠ هـ) ، المحاسن والمساوئ ، (بيروت ، دار صادر – دار بيروت ، ١٩٦٠) ص ص ٤٦٩ – ٤٧٠ .

الخليفة عبد الملك للنقود فإن هذا الإجراء كان جزءاً من سياسة الخليفة عبد الملك التي املته عليه الظروف واحداث ذلك العصر، والتي استهدفت تعريب مؤسسات الدولة.(١)

الفصل السادس

النظم الزراعية والصناعية والتجارية

(٢) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري(بغداد، مطبعة المعارف،١٩٤٨)، ص ٢١٣ ؛ فهمي ، النقود العربية ماضيها وحاضرها، (القاهرة، دار القلم ، ١٩٦٤)، ص ٤٤١ ؛ ذنون طه ، عبد الواحد (الدكتور)،العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي(الموصل، مطابع جامعة الموصل،١٩٨٥)، ص ١٦٩ .

الزراعة :

تعتبر الزراعة من الحرف الرئيسة التي يشتغل فيها اكبر عدد من سكان البلاد الاسلامية ، وهي مصدر معيشتهم وحياتهم ، وكان اعتماد الدولة على موارد هذه المهنة ، فنشأت ملكيات فردية .(١) وعليه يمكننا تقسيم الاراضي بوجه عام الى الانواع التالية :

***انواع الاراضي الزراعية :**

١. **الضياع السلطانية :** او ضياع الخلافة ، وهي في الاصل الصوافي التي استصفيت من املاك الفرس والبيزنطينين ، ثم انتقلت الى الامويين ، وبعد سقوطهم اخذ العباسيون هذه الاراضي واضافوا اليها اراضي جديدة بالشراء ، او تجفيف المستنقعات في جنوب العراق ، او بمصادرة ضياع بعض الموظفين الكبار وغيرهم .(٢)

٢.الاقطاعيات وأقطاع الاراضي :

القطائع جمع قطيعة وهي الارض التي يقطعها الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)او الخليفة لمن يريد.(٣) قال الرازي : اقطعة قطيعة، أي طائفة من ارض الخراج(٤). كأرض الصوافي، وقد يقطع الخليفة من ارض العشر كأرض الموات(٥). وذلك بعمارتها وجعلها صالحة للزراعة والسكن(٦).

بدأ أقطاع الاراضي لبعض المسلمين منذ صدر الاسلام ، وتشير النصوص ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اقطع قطائع بمساحة محدودة لبعض الصحابة ، وحذا حذوه الخلفاء الذين جاءوا من بعده(٧) ، قال ابو يوسف : " ان الرسول اقطع امواتا وان الخلفاء من بعده اقطعوا"(٨).

---

(١)الرفاعي ،النظم الاسلامية ،ص٢٣٥-٢٤٩ .

(٢)الدوري،النظم الاسلامية،ص٨٥؛فوزي(واخرين)،النظم الاسلامية،ص١٠٢.

(٣)الخوارزمي، ابو عبد الله محمد بن احمد (ت٣٨٧ هـ)، مفاتيح العلوم، (القاهرة، مطبعة الشرق، ١٣٤٢هـ).ص٤٠؛ الخضري، محمد ،محاضرات تاريخ الامم الاسلامية(الدولة العباسية)ط٢(القاهرة، مطبعة دار احياء الكتب العربية، ١٩٢١م)،ص١٦٥.

(٤) الرازي،مختار الصحاح،ص٥٤٣.

(٥)الرحبي، عبد العزيز بن محمد (ت١١٨٤ هـ) ، فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج، تحقيق: د. احمد عبيد الكبيسي، (بغداد، مطبعة الارشاد، ١٩٧٥م)،ج١،ص ص٣٥٧و٣٩٣.

(٦) عبد البر،محمد زكي،احكام المعاملات المالية في المذهب الحنبلي،(قطر، دار الثقافة،١٩٨٥)،ص٤٥٧.

(٧)الكبيسي،حمدان عبد المجيد ،الخراج ، (بغداد،١٩٩١ م) ، ص ٢٤ .

(٨) ابو يوسف،يعقوب بن ابراهيم الانصاري(١٨٢هـ)،الخراج،(بيروت ،دار المعرفة، ١٩٧٩م)، ص ٦٢ .

وفي العصر الاموي اقطع الامويين قطائع كثيرة منها ما منح للافراد ومنها ما خص به الخلفاء الامويين انفسهم وآل بيتهم(١).

وبذلك تحولت كثير من الاراضي للافراد يستغلونها بالزراعة وظل الحال على ذلك حتى انتقل الحكم الى العباسيين فكانت معظم الاراضي ضياعا بيد اهلها ما عدا الاراضي التي كانت بيد الامويين فقبضوها منهم واقطعوا بعضها .

ولم ترد في المصادر اشارة الى حدوث تغيير في عملية أقطاع القطائع عما كانت عليه سابقا اذ استمر الحال في هذا الشأن حتى الربع الاول من القرن الرابع الهجري ، اذ كان الخليفة يمنح الاقطاع من اراضي الدولة ، او اراضيه الخاصة ، ثم صار ذلك بيد الامراء البويهيين بعد دخولهم بغداد .

ولم يكن على صاحب الاقطاع واجبات عسكرية بل عليه ان يقدم مقدارا من المال سنويا ، ويتعهد بحفر القنوات ، واصلاح الجسور ،فهناك اربعة انواع من الاقطاع : اقطاعات تعطى للموظفين ليتسلموا واردها عوضا عن الرواتب ، وكانت هذه تعطى للوزراء ولكبار الموظفين. وهناك اقطاعات خاصة تمنح لبعض الافراد كالشعراء ، والموظفين جائزة خاصة لهم او مكافأة على خدمتهم . وهناك نوع ثالث تعرف باقطاعات التمليك اذ كان الخليفة احيانا يقطعون الاراضي المهملة او الموات لاصلاحها وزرعها . وهناك الاقطاعيات العسكرية وهي التي تمنح لرجال الجيش بدل رواتبهم .(٢)

٣.**اراضي الوقف** :يعتبر وقف الاراضي من اعمال البر والتقوى ، وكان واردها يخصص للمجاهدين ، ولمفاداة الاسرى ، وللفقراء ، واليتامى ، ولتحرير العبيد ،وفك رقابهم ، ولبناء المساجد، والمدارس ، والمارستانات (المستشفيات) ، ودور القران والحديث ، وغيرها من اعمال البر .

---

(١) كان لمعاوية بن ابي سفيان(٤٠-٦٠هـ)اموال في المدينة تنتج كميات كبيرة من القمح والحنطة كما وكان له عددا من الحوائط في ضواحي مكة غنية بالمزروعات والنخيل ، واشترى ثنية الشريد في المدينة المنورة كانت اعناباً ونخلاً كما اشترى الغابة في المدينة بمبلغ مليوني درهم(ينظر: الازرقي ، ابو الوليد محمد بن عبد الله (ق ٣ هـ)، اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار ، وهو الجزء الاول من كتاب اخبار مكة المشرفة ، (بيروت ، مكتبة خياط ، ١٩٦٤ م) ، ص ٤٤٢ ؛ السمهودي ، وفاء الوفا، ج٣ ، ص ١٠٦٦)كما وأقطع قرية فدك الى مروان بن الحكم عندما كان والياً على المدينة . واقطع يزيد بن معاوية في خلافته(٦٠-٦٤هـ)ارضاً بوادي القرى لعبد الملك بن مروان (ينظر: البلاذري ،فتوح البلدان ،ج١ ص ٣٧-٣٨ ، و٤٠).

(٤)فوزي (واخرين)،النظم الاسلامية ،ص١١٢-١١٣ .

ويوجد نوعان من اراضي الوقف : رسمية وغير رسمية ، فالاوقاف الرسمية هي التي وقفها الخلفاء ، او الوزراء ، واما الغير رسمية فيوقفها افراد الناس من العامة. وبعد ان توقف الارض لا يمكن بيعها او مصادرتها .(١)

نظام الري :

من اولى الاحكام المهمة التي اوجدها الدين الاسلامي الحنيف جعل الماء مشاعاً للجميع ، قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) " المسلمون شركاء في ثلاث الماء والكلا والنار "(٢)

فأتبع الرسول(صلى الله عليه وآله) في تنظيم المشاريع الاروائية، نهجاً عادلاً بأنه قضى ((في سيل مهروز(٣) ان لاهل النخل الى الكعبين، ولاهل الزرع الى الشراكين، ثم يرسلوا الماء الى من هو اسفل منهم)) (٤) وتأسيساً على النهج الذي وضع اسسه الرسول (صلى الله عليه وآله) نظمت عملية الاستفادة من المياه المتاحة فوزعت حصص الماء في ارواء الاراضي في الوديان. وفي ضوء ذلك اورد ابو يوسف قول الرسول (صلى الله عليه وآله) ((اذ ابلغ الوادي الكعبين لم يكن لاهل الاعلى ان يحبسوا على اهل الاسفل))(٥).وبذلك يكون الرسول (صلى الله عليه وآله) قد وضع احكاماً نظمت بموجبها عملية الاستسقاء من مياه الامطار، فضلاً عن حكمة في تنظيم الاراضي في الوديان، اضف الى ذلك اسهاماته (صلى الله عليه وآله) في المشاريع الاروائية الاخرى، كالابار والعيون وانشاء السدود .(٦) .

---

(١) معروف ، المدخل في تاريخ الحضارة العربية ، ص٦٤ .

(٢) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٩٦ ؛ اخرجه ابو داود ، سليمان بن الاشعث ابن اسحاق (ت ٢٧٣ هـ) ، سنن ابي داود ، ط١ ، (مصر ، مطبعة الحلبي ، ١٩٥٢ م) ، ج٢ ، ص ٢٤٩ .

(٣) مَهروز : وهو وادي قريظة بالقرب من المدينة يسيل بماء المطر خاصة، وكانت المدينة اشرفت على الغرق في خلافة عثمان (رض) من سيل هذا الوادي حتى اتخذ الخليفة ردماً له (ينظر: ابن ادم، يحي القرشي (ت٢٠٣ هـ)،الخراج، صححه: احمد محمد شاكر، (القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٤٧ هـ)، ص٩٩-١٠٠؛ البلاذري، فتوح البلدان،ج١ ص٩-١٠).

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ص ٩-١٠ ؛ ابن ادم ، الخراج، ص ص ٩٩-١٠٠ .

(٥) ابو يوسف الخراج، ص١٠٢ .

(٦) ينظر: ابو يوسف، الخراج، ص ص٩٩-١٠٢؛ ابن ادم، الخراج، ص ص٩٩-١١٠؛ ابو عبيد، لاموال، ص٤١٠-٤١٢ .

كما كانت هناك مشاريع اروائية للخلفاء الراشدين(١) فنذكرمنها الجهود والاهتمام بالمشاريع الاروائية في خلافة الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)ما اورده (اليعقوبي) من كتاب الخليفة علي (عليه السلام) الى قرظة بن كعب الانصاري(٢) يحثه على حفر الانهار واستصلاح الاراضي الزراعية، جاء فيه ((أما بعد فإن رجالاً من اهل الذمة من عملك ذكروا نهراً في ارضهم قد عفا ودفن، وفيه لهم عمارة على المسلمين فأنظر انت وهم ثم اعمروا صلح النهر، فلعمري لأن يعمروا احب الينا من ان يخربوا)) (٣)فكان لهذه الجهود في مسألة المشاريع الاروائية لها اثرها الفاعل دون ادنى شك في احياء الاراضي واستصلاحها، وبالتالي زيادة الانتاج.

كما كانت هناك مشاريع اروائية خلال العصر الاموي فقد شهد العراق في خلافتهم اهتماما من قبل المسؤولين على مشاريع الري.(٤) ولم يكن العباسين اقل حظاً منهم في هذا الجانب فيذكر البلاذري المشاريع الأروائية التي قام بها بعضهم ودور ولاتهم ايضاً.(٥)

اما طرق الري ،فقد اعتنت الدولة بهذا الجانب ، فكانت تعمل القنوات والسدود وسد البثوق والكسرات في الانهار .فاهل السواد (العراق) استعملوا عدت طرق في الري كطريقة الري الاصطناعي ، وتكون بواسطة آلات خاصة كـ(الدالية اوالكرد الذي يجره البقر او الحيوان ، وهناك الناعور وهو دولاب يديره تيار ماء جاري وحاد ، والدولاب هو نوع من انواع الناعورة تديرها الثيران او البغال ، وهناك انواع اخرى من الآلات) . وكانت منطقة الاهواز او البطائح ، فيها مستوى الماء ضحل ففيها اهم مناطق زراعة الرز .اما منطقة الجزيرة الفراتية(شمال العراق) فتعتمد بالدرجة الاساسية على مياه الامطار .اما اعتماد اهل الحجاز في ري بعض المزروعات

---

(١)البلاذري،فتوح البلدان،ج٢ ،ص٤٤٠-٤٤١؛ العلي ، صالح احمد (الدكتور)،التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري(بغداد ،مطبعة المعارف، ١٩٥٣)، ص١٤٨.

(٢) قرظة بن كعب بن ثعلبه بن عمرو الانصاري الخزرجي، سكن الكوفة، شهد احداً وما بعدها، مات في خلافة علي بن ابي طالب(ﷺ) وقيل في خلافة معاوية بن ابي سفيان (ينظر: ابن حجر،الاصابة في تمييز الصحابة، ج٣ ، ص٢٣١-٢٣٢).

(٣)اليعقوبي ، احمد بن جعفر بن وهب (ت ٢٩٢هـ)،تاريخ اليعقوبي، (بيروت، دار صادر، د.ت)، ج٢، ص٢٠٣-٢٠٤ .

(٤) ينظر: بحشل، اسلم بن سهل الرزاز الواسطي(ت٢٩٢ هـ)، تاريخ واسط، تحقيق: كوركيس عواد(بغداد، مطبعة المعارف،١٩)، ص٤٤

(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٢،ص٤٤٥ .

على الامطار التي تعد قليلة الكلفة خاصة في سقي الحبوب.(١) كما استخدموا النواضح وهي الابل التي تعمل في الزرانيق(٢)لاستخراج المياه من الابار(٣)

انواع المحاصيل:

وردت آيات قرآنية كريمة ذكرت انواعا مختلفة من النباتات والزروع وانواعها. (٤) فاذا تطرقنا الى الفواكه فيمكن ان نبدأ بالتمر ، اذا افرد اهل الحديث بابا سمي باب الرطب والتمر،ذكر فيه احاديث كثيرة عن التمر(٥) هذا فضلا عن انواع من الحبوب (٦) مثل الحنطة الحنطة التي تميزت اليمامة بانتاجها(٧)وزرعت الفواكه في بعض نواحي البلاد العربية الاسلامية الاسلامية ، ففي الطائف انتشرت زراعة الكروم التي اشتهرت بزراعتها منذ عصر ما قبل الاسلام وبعده .(٨) وزرع العنب ايضا في المدينة المنورة وفي نواحي ثنية الشريد(٩).(١٠)اما الشريد(٩).(١٠)اما الرمان فزرع بكثرة في الطائف وكثرت زراعته ايضا في ضواحي مكة(١١). مكة(١١).

---

(١) القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢٢ هـ)، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، (مصر ، المطبعة الاميرية ، ١٩١٥م) ، ج٤ ، ص ص ٢٤٧ – ٢٤٨ .

(٢) الزرانيق : منارتان تبنيان على راس البئر من جانبيها فتوضع عليها النعامَّة وهي خشبة تعرض عليهما ثم تعلق فيها البكرة فيستسقى بها . (ابن منظور، ابو الفضل محمد بن مكرم (ت٧١١هـ) ،لسان العرب، (بيروت، دار صادر – دار بيروت، ١٩٥٧م)، ج١٠ ، ص ١٤٠) .

(٣)اليعقوبي، البلدان ، (ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩١م).، ص ٣١٣ .

(٤) ينظر: سو رة الرعد ، آية ٤ ؛ سورة الانعام ، آية ١٤١؛ سورة التين ، آية ١ .

(٥) ينظر: البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)،صحيح البخاري، (بيروت، دار الفكر، ١٩٨١م) ،ج٢،ص١٣٨–١٣٩،ج٣،٣،ص٢٥–٢٦،ج٤،ص٢٩،ج٥،ص٤٠،ج٦،ص٢١٠.

(٦) م . ن ،ج٣،ص٤٤–٤٥،ج٥،ص١١٨ ؛ (ينظر : الشريف ، مكة والمدينة ، ص٣٥٨).

(٧) البخاري،صحيح البخاري،ج٥،ص ١١٨ .

(٨) ابن قتيبه ، عيون الاخبار ، مج٢ ، ج٩ ، ص ٢٢٧ .

(٩) ثنية الشريد : قرية قرب المدينة كانت اعنابا ونخلا ، (ينظر:السمهودي ، نور الدين علي بن احمد (ت ٩١١ هـ) ، وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٢، (بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ١٩٧١م) ج ٣ ، ص ١٠٦٦) .

(١٠)ياقوت ، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)،معجم البلدان (بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٧٩م)، ج٣ ، ص ١٨٠ .

(١١) الاصفهاني ،، ابو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ)، الاغاني ، (القاهرة ، دار الكتب المصرية ، د.ت) ،ج١ ، ص ٤٠٢ .

وانتشـــرت زراعـــة العديـــد مـــن المحاصـــيل فـــي ناحيـــة الســـوارقية قـــال يـــاقوت " السوارقية قرية غناء كبيرة ولكل فرد من بني سليم فيها شيء ولهم فيها مزارع ونخيل من موز وتين وعنب ورمان وخوخ "(١) وزرع الكراث والخس والسلق قرب مكة(٢).

هذا فضلا عن زراعة الباذنجان والملوخيا والفجل والبصل والثوم في نواحي متفرقة من الحجاز(٣). اما الحبوب فكان يزرع الشعير والذرة والحنطة والتي تشكل المادة الغذائية الرئيسة للسكان(٤)غير ان هذا الانتاج من الحبوب غير كافٍ لسد حاجة السكان الامر الذي تطلب استيراده من الخارج .

اما في العراق فقداشتهرت البصرة بتمورها ، اما الحنطة والشعير فكانت تزرع في كل جهات العراق .كما اشتهر العراق بوفرة الفواكه ، وتجدر الاشارة الى ان العراق لم يعرف البرتقال والليمون حتى ادخلا في القرن الرابع الهجري من الهند عن طريق عمان . واشتهرت منطقة سنجار بالزيتون ، والتين في حلوان ،والقطن في الخابور وفي بعض اراضي الجزيرة (الفراتية) ، كما اشتهر العراق بزراعة الرياحين (الزهور).(٥)

اما الحاصلات الزراعية في الاندلس فاشتهرت باشجار الزيتون والنخيل والرمان واللوز والتوت . ومن مزروعاتها الصناعية السكر والكتان والقطن والزعفران .(٦)

الصناعة :

ظهرت في الحجاز بعض الصناعات والحرف التي كانت في غالبيتها محدودة، وغلبت عليها البساطة ، فلم يكن هناك مراكز صناعية كبيرة تضم عمالا كثيرين ، وانما كانت حوانيت تضم بعض العمال الذين يتقاضون اجورا من اصحابها او يعملون لحسابهم الخاص . ولعل قلة الانتاج الصناعي في الحجاز يعود الى الاعتقاد السائد ان الاشتغال بالحرف الصناعية ليس من مهام العرب وانما من مهام العبيد والموالي.(٧) ومن اهم الصناعات الموجودة دباغة الجلود التي

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص ١٨٠ .

(٢) ابن انس ، المدونة ، مج١ ، ج٢ ، ص ٤٥١ .

(٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٤ ، ص ٢٤٧ .

(٤) العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري ، ص ٢٣٥ .

(٥) معروف ، المدخل في تاريخ الحضارة ، ص٦٦_٦٧ .

(٦)الرفاعي ،النظم الاسلامية ،ص٢٤٩ .

(٧)إبن انس ، الإمام مالك أبو عبد الله (ت١٧٩ هـ)، المدونة الكبرى ، طبعة بالاوفست ، (بغداد ، مكتبة المثنى ، ١٩٧٠م) ، عن مطبعة بولاق سنة ١٢٩٤ هـ ، مج٢ ، ج٤ ، ص ٣٩٥ .

التي اشتهرت بها مدينة الطائف ، فوصفت بانها بلد الدباغ لكثرة حوانيت الدباغة فيها.(١)وقد ساعدت على قيام هذه الصناعة في هذه المدينة الظروف المناخية الملائمة للدباغة ، وتوافر الحيوانات التي تؤخذ منها الجلود في الحجاز(٢) فضلا عن توفر المواد التي تستخدم للدباغة مثل ورق شجر " القرظ "(٣) ولم تقتصر دباغة الجلود على الطائف وحدها بل كانت موجودة في في مكة ايضا.(٤) وكان لاصحاب الادم في مكة حوانيت منفصله خاصة بهم(٥) ويستخدم الأدم في صناعاتمتعددة منها صناعة النعال والخفاف وصناعة الاواني الجلدية وغيرها(٦).

ومن الصناعات الاخرى المعروفة حياكة المنسوجات التي تعتمد على القطن والصوف والقز(٧) والقز(٧) ، اما آلتها فهي المنوال.(٨) وكان معظم الذين يزاولون هذه الصناعة من الرقيق والموالي.(٩) وكان بعض اصحاب الحوانيت يقومون بإستأجر عمالا حاكة يعملون في حوانيتهم(١٠) ففي مكة قال الازرقي " وابو زيد هو من اهل سواد الكوفة كان اميرا على الحاكة بمكة " (١١) . واشتهرت بعض المناطق بهذه الصناعة ، مثل ناحية مر الظهران التي عرفت ثيابها، بالثياب الظهرانية(١٢).

وعرفت كذلك النجارة التي كانت لها مكانة مهمة ومتميزة في المجتمع لما تقدمه من خدمات في صنع الادوات المنزلية ، ومما يؤكد تطور هذه الصناعة ما ذكره الازرقي من ان النجارين كان لهم زقاق خاص في مكة(١٣)، فضلا عن وجودها في بعض مدن الحجاز

---

(١) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٧٩ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨ ، ص ٣٤٥ .

(٣)والقرظ : ورق يدبغ به كقشر البلوط تاجر به احد اهل الحجاز ويدعى سعيد بن عائذ فنسبت اليه تلك التجارة التجارة فعرف بسعيد القراظ ، (الكتاني ، عبد الحي بن عبد الكبير ، نظام الحكومة النبوية المسمى " التراتيب الادارية " ، (بيروت ، دارالكتاب العربي ، د.ت) ، ج٢ ، ص ٢٧) .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص ٧٣ ، ص ٢٠٦ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص ١٢٣ .

(٥) الازرقي ، اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار ، ص ٤٧٤ .

(٦) ابن بكار ، الزبير (ت ٢٥٦ هـ)، جمهرة نسب قريش واخبارها ، تحقيق محمود محمد شاكر،(القاهرة ، ١٣٨١ هـ) ، ج١ ، ص ٣٧٠ .

(٧) الكبيسي ، والاعظمي ، دراسات في تاريخ الاقتصاد ، ص ٦٨ .

(٨) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٥ ، ص ١١٤ .

(٩) م .ن ، ج١ ، ص ٧٨ .

(١٠) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١ ، ص ٦٥ .

(١١) الازرقي ، اخبار مكة ، ص ٤٩٩ .

(١٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٢٨١ .

(١٣) الازرقي ، اخبار مكة ، ص ٤٥٥ .

الاخرى(١)، ومما ساعد على قيام الصناعات الخشبية توفر شجر الطرفاء بكثرة في منطقة الغابة الواقعة شمال غرب المدينة المنورة (٢).

كذلك اشتهرت مكة والمدينة المنورة منذ عصر ما قبل الاسلام وحتى العصرالعباسي الاول بصناعة الفخار من اوان وأباريق واكواب وجرار وحلل وغيرها من اللوازم.(٣) ومن الاعمال الاخرى التي كانت موجودة في الحجاز هي مهنة الصياغة ، وهي وهي من مهن اليهود قبل الاسلام فورثها المسلمون بعد اجلائهم عن المدينة(٤)، واستمرت هذه الصناعة خلال القرن الثالث الهجري ، اما الصياغ فيكثر وجودهم في المدينة خاصة في قرية تعرف بقرية زهرة التي كان لهم بها زقاق خاص بهم(٥). كذلك ظهرت في بعض بعض نواحي الحجاز ، صناعة الحدادة وتشمل صناعة بعض الاواني الحديدية ، والمنزلية وصناعة الاسلحة(٦).

وورد ذكر بعض الحرف التي كان يمارسها ايضا بعض العرب ، ففي الحجاز مارسوا كتابة المصاحف وبيعها(٧)، وصيد الطيور ، فكانت الشواهين والصقور تباع في سوق الروحاء.(٨)كذلك حفر الابار من الحرف التي عرفت في ذلك الوقت(٩) ، والحلاقة ، فكان الحلاقون تنشط اعمالهم في مكة وبخاصة ايام موسم الحج(١٠) . ومن الحرف الاخرى استخراج اللؤلؤ من موانئ المدينة المنورة .(١١)

---

(١) ابو نعيم ، احمد بن عبد الله الاصبهاني(ت ٤٣٠هـ)حلية الاولياء(القاهرة ،١٩٣٢م)،ج١،ص ١٥٢ .

(٢) مالكي ، سليمان عبد الغني ، بلاد الحجاز منذ بداية عهد الاشراف حتى سقوط الخلافة العباسية ، (الرياض ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز ، ١٩٨٣ م) ، ص ١٠٤ .

(٣) الكبيسي والاعظمي ، دراسات في تاريخ الاقتصاد ، ص ٦٣ .

(٤) عن هذه الصناعة في صدر الاسلام (ينظر : الكتاني ، التراتيب الادارية ، ص ص ٦٣ – ٦٦) .

(٥) كانت قرية زهرة من اعظم قرى المدينة ، وكان فيها ثلاثمائة صائغ على ما يذكر . (السمهودي ، وفاء الوفا ، ج٤ ، ص ص ١٢٢٩ – ١٢٣٠) .

(٦) ابن بكار ، نسب قريش ، ج١ ، ص ٣٧٢ ، ص ٤٤٨ ؛ الكتاني ، التراتيب الادارية ، ج٢ ، ص ص ٧٣ – ٧٥ .

(٧) ابن انس ، المدونة ، مج٤ ، ج١١ ، ص ٤١٨ .

(٨) ابن رسته ، ابو علي احمد بن عمر (كان حيا سنة ٢٩٠هـ)، الاعلاق النفيسة ، (ليدن ، مطبعة بريل ، ١٨٩٢م) ، ص ١٨٧ .

(٩)ابن قتيبة الدينوري ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ)، عيون الاخبار ، (القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٤م)، مج١ ، ج٥ ، ص ١٧٧ .

(١٠) ابن سعد ، طبقات ، ج٤ ، ص ١٥٤ – ١٥٥ و ١٨١ .

(١١)اليعقوبي، البلدان ، ص ٣٤١ .

وبعد هذا العرض الموجز نأتي لنشير الى اهم مراكز الصناعة في العالم الاسلامي : ففي العراق ومدنها خلال العصر العباسي نجد في **بغداد** اشتهرت بالمنسوجات الحريبة الجميلة ، وثيابها الحريرية ، والاقمشة البيضاء والعمائم المعروفة بها الرصافة. كما اشتهرت بغداد بالسقلاطون او المنقوش وهونسيج حريري سميك لونه وردي مثقل بالنقوش ، كما اشتهرت بالملحم وهي منسوجات من الحرير والقطن . اما في **البصرة** فقد تفوقت بصناعة الخز وهو نسيج ناعم جدا من الحرير ، والبز هو نسيج قطني ثمين . اما في الموصل فقد برعت في صناعة الشاش وهو نسيج قطني له شهره واسعة وقد انتشر في اوربا باسم المورسلين ، وكانت الموصل تنتج المسوح وهي التي تستعمل كسجادة وغطاء .وفي الكوفة كان لاهل الكوفة موهبة في صناعة الوشي وهو نسيج حريري مطرز ، واشتهرت بالعمائم الكوفية الجميلة المعمولة من الخز.وفي الحيرة اشتهرت بسجادها الذي نقشت علية بعض الحيوانات والطيور.(١)

وفي **مصر** في عهد الفاطميين : اذ كانت القاهرة من اهم المراكز الصناعية بمصر فامتازت بالنسيج واشتهرت ببعض الملابس ، فكان في القاهرة دار الكسوة تفصل فيها الثياب للخليفة والامراء والوزراء وسائر موظفي الدولة ، وكثرت في مصر المنسوجات المزخرفة ذات الرسوم المختلفة .

كما عرف العراق ومصر الحفر على الخشب ، ومن الصناعات التي اشتهرت بها البلاد الاسلامية صناعة الورق والتجليد ، فاشتهرت مصر بورق البردي ، وسمرقند بالكاغد ، كما اشتهرت بلاد الشام بصناعة الورق ايضاً .كما ازدهرت صناعة الزجاج والبلور بسبب حاجة المساجد والقصور والمدارس للقناديل ، والواح الزجاج ... كما برعوا في عمل السكر ولذلك انشأوا المعاصر السلطانية . وعني المصريون باستخراج زيت الزيتون من الزيوت ، وزيت الشيرج من السمسم ، كما عنوا بصناعة الشمع والصابون .

وفي الاندلس تقدمت الزراعة على يد العرب الفاتحين ،وتقدم فن استخراج زيت الزيتون واستخدم له المعاصر المتنوعة .وطوروا عمليات الري والجسور فيها .وكان فيها الطواحين التي تعمل على الهواء او الماء ،كما تقدمت فيها صناعة المنسوجات الحريرية ، والطراز، وصناعة الفرو، وصناعة الجلود ، والورق، وصناعة الفخار، وصناعة الحلى والجواهر، وكذلك النحاس المزين بالنقوش،فاشتهرت الاندلس باستغلال المعادن الموجوده فيها فكانت من عناصر ازدهارها الاقتصادي .(٢)

---

(١) معروف ،المدخل في تاريخ الحضارة ، ص٧٧_٧٨ .

(٢) م .ن ، ص٧٩-٨٠ .

الاصناف والنقابات :

ظهرت الاصناف نتيجة للتطورات الاقتصادية والاجتماعية التي رافقت نمو المدن العربية الاسلامية في العصر العباسي منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ، فاصبحت النسبة الى الحرفة مألوفة ، وكان اصحاب الحرف يعشون في محلات خاصة بهم،وكل حرفة لها سوقها ومحلاتها ، وقد قامت هذه الاصناف . النقابات في المدن الرئسية في العراق وبلاد الشام ومصر وولايات المشرق والأندل. فاعترفت الدولة العربية الاسلامية بشرعية الاصناف والنقابات حتى نجد انها كانت ذات استقلال في القاهرة تحت حكم الفاطميين مثلاً . وكان لكل حرفة (نقابة . صنف)رئيس وخلفاء وعمال (صناع) ومبتدئين . وقد يقوم المحتسب (الذي سبق الاشارة اليه) بتعين هذا النقيب ، وكان لكل نقابة تعليمات تنظمها ، وصار لكل حرفة شعارات ومراسيم وقوانين .

فاصبح لكل صنف رئيس او نقيب ، فنذكر بعض الرؤساء او النقباء والاصناف التي كانت لها منظماتها :سلمان الفارسي حلاق الرسول(صلى الله عليه وآله) نقيب الحلاقين ،بلال الحبشي مؤذن الرسول (صلى الله عليه وآله) نقيب المؤذنيين ، حسان بن ثابت نقيب الشعراء ....

وتجدرالاشارة الى ان الحرف التالية كانت لها منظمات شعبية لها رؤساؤها ونقباؤها نذكر بعض منها كـ :السقاؤون ، الخبازون،الدباعون، الخياطون ، السماكون ، الخياطون، الكتبة ، مجلدون المصاحف ، الحدادون ، النحاسون ،الطباخون، القصابون ، الحمالون، الاسكافية، النجارون ، الصباغون ... (١)

التجارة :

من العوامل الحضارية للدولة العربية الاسلامية خلال تلك الحقبة من الزمن هو اتساع نشاط التجارة بين الاقاليم لتبادل منتوجاتها وبضائعها بما تحتاجه من بضائع ومنتوجات بلدان اخرى(٢)وكان تبادل السلع والبضائع تتم بما كانت تتميز به كل مدينة من منتجات وصناعات معدنية ومنتوجات زراعية وحيوانية متوفرة في كلٍ منها(٣).

وكان لموقع الحجاز دور مهم في تلك الحركة التجارية لاحتلاله مركزا وسطا لمصادر التجارة وأسواقها بحكم موقعه في منتصف طريق القوافل الذي يربط بلاد اليمن بكل من بلاد الشام

---

(١) ينظر :معروف ،المدخل في تاريخ الحضارة ، ص٨٠-٨٢ ؛ لجنة بوزارة التربية ، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ،ط٩ ،(بغداد ، مطبعة وزارة التربية ،١٩٨٧م)،ص١١٩-١٢٤ .

(٢) عبد الباقي ، احمد ، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري،(بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩١ م)، ص ١٣٦ .

(٣) الكبيسي والاعظمي ، دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الاسلامي ، ص ١٢٢ .

والعراق(١). فضلا عن امتداده لمسافة طويلة على ساحل البحر ، فقد كانت المراكب التجارية المنتقلة بين موانئ مصر واليمن تأوي الى ثغورٍ الحجاز على البحر الاحمر ، وفي الوقت نفسه كانت هذه الثغور الحجازية تستقبل سفناً تجارية من الحبشة والهند والصين ومصر واليمن(٢). فكانت هذه الصلات التجارية قوية ومنظمة خاصة في مواسم الحج التي ادت الى انعاش الحياة الاقتصادية في الحجاز.(٣) فكان من اسباب ازدياد الحركة التجارية في مواسم الحج ، ان كثيراً من التجار يفضلون مرافقة الحجيج سنويا لاداء الفريضة والمتاجرة ايضا، وذلك من اجل تقليل مخاطر الطرق البرية ، واهمها تعرض قوافلهم وتجاراتهم لاعمال السلب والنهب التي يقوم بها اللصوص وقطاع الطرق.(٤) ومن الاساب الاخرى التي تدفع بالتجار للقدوم سنويا لاداء فريضة الحج التخلص من الضرائب فان التاجر يكون حاجاً بالدرجة الاولى وبامكانه جلب البضائع المسموح بها للحجاج دون الخضوع لنظام الضرائب فضلا عن اخفاء البضائع الغالية الثمن عن اعين الجباة لكثرة الضرائب عليها(٥). وهذا ما يحدث خاصة في الموانئ التجارية(٦).

وقد اعتاد الحجاج والتجار على جلب انواع عديدة من البضائع المرغوبة عند انتهاء مناسك الحج لحملها معهم عند عودتهم للتبرك بها او لغرض التجارة .(٧) ولم تكن مكة وحدها مزدهرة ايام الموسم ، فكذا الحال في المدينة المنورة فكان اهلها يتعاملون تجاريا مع الحجاج والتجار الذين يفدون اليها من مكة وهم في طريقهم الى بلادهم او لزيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومسجده.(٨)

ومن العوامل التي اسهمت في النشاط التجاري في بلاد الحجاز خلال القرن الثالث الهجري استعادة البحر الاحمر لسابق مكانته الملاحية خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، وكانت الحركة التجارية قد ضعفت في منطقة البحر الاحمر بعد طمر المنصور ، خليج امير

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٥ ، ص ٣٨٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٥ ، ص ٢٠٥ .

(٢) فهمي،نعيم زكي،طرق التجارة الدولية بين الشرق والغرب،(القاهرة ،المكتبة العربية،١٩٧٣)،ص ١٣ .

(٣) المسري،حسين علي(الدكتور) ، تجارة العراق في العصر العباسي،(الكويت ، ١٩٨٢ م) ، ص ٣٨٩ .

(٤) ناجي ، عبد الجبار(الدكتور) ، دراسة مقارنة للاحوال التجارية لموانئ الخليج العربي والجزيرة العربية في القرن الرابع الهجري ، مجلة دراسات الخليج العربي والجزيرة العربية ، العدد ٥٦ ، السنة ١٤ ،(الكويت ، ١٩٨٨ م)، ص ١٧٧ – ١٧٨ .

(٥) ناجي ، دراسة مقارنة ، ص ١٧٨ .

(٦) م . ن ، ص ١٨٠ .

(٧) عبد الباقي ، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري ، ص ١٣٦ ؛ المسري ، تجارة العراق في العصر العباسي ، ص ٣٧٧.

(٨) المجد ، ابو مجد الدين الطاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت ٨٢٣ هـ)، المغانم المطابة في معالم طابة ، تحقيق حمد الجاسر،(الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٩٦٩ م)،ص ١٥ – ٢٠ .

المؤمنين(١)في سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٩ م وردمه وبذلك قطع الاتصال بين النيل والبحر الاحمر مستهدفا من ذلك فرض حصار اقتصادي على الحجاز على اثر قيام محمد النفس الزكية واخوته.(٢) وبهذا الاجراء ضعفت الحركة التجارية كثيرا في البحر الاحمر وقل نشاط موانئه الرئيسة في اليمن ومصر والحجاز . ويرى بعض الباحثين ان هذا العمل كان يهدف فضلا عما ذكر الى تحويل تجارة الهند من موانئ البحر الاحمر الى البصرة والخليج العربي وذلك دعما لمكانة بغداد الاقتصادية حديثة المنشأ.(٣)

وخلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، ضعفت التجارة في موانئ الخليج العربي بسبب حدوث اضطرابات حول المنطقة واختلال ميزان القوى والامن على اثر قيام حركة الزنج ، وحركة القرامطة، ومهاجمتهم للموانئ والسفن التجارية وقطع الطرق التجارية.(٤) وقد تضافرت جهود حركة الزنج والقرامطة في الاضرار بالتجارة الشرقية مع الهند والصين عبر الخليج العربي ، فتدهورت لذلك التجارة الشرقية عبر الخليج مما ترتب عليه استعادة البحر الاحمر لسابقة مكانته.(٥)هذا فضلا عن اهتمام الطولنيين في مصر اهتماما خاصا بتجارة البحر البحر الاحمر من خلال تخصيص عدد من السفن لخدمة هذه التجارة وحماية السفن التجارية من التعرض لهجمات القراصنة.(٦) وكذلك قامت الدولة الزيادية (٢٠٤ هـ .٤٤٤هـ / ٨١٩. ١٠٥٢م) في اليمن في اتباع سياسة تجارية داخلية واخرى خارجية

---

(١) وهي قناة قديمة بين النيل والبحر الاحمر ، فتحها الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ، لتسهيل حركة المواصلات البحرية بين مصر والحجاز ، (ينظر : الحديثي ، مداح حسن حميد ، دراسة في الاوضاع الاقتصادية في الحجاز خلال القرن الاول الهجري ، رسالة ماجستير ، معهد التاريخ ، الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، ٢٠٠١ ، ص ٣٠) .

(٢) سالم ، عبد العزيز (الدكتور)، البحر الاحمر في التاريخ الاسلامي ، (الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة الجامعة ، ١٩٩٣م) ، ص ١٤ .

(٣) ينظر : صالح ، محمد امين ، تاريخ اليمن الاسلامي في القرون الثلاثة الاولى للهجرة ، ط١ ، (القاهرة ، مطبعة الكيلاني ، ١٩٧٥) ص ٢٠٨ .

(٤) كان من اضرار حركة الزنج مهاجمة ميناء الأبله في سنة ٢٥٦ هـ / ٨٧٠م حيث احترق وقتل وغرق الكثير من الناس ، وكان صدى انتصاراتهم مروعا وخاصة لاهل البصرة الذين هرب الكثير منهم . وكذلك قطعوا طرق المواصلات بين بغداد والبصرة ، واضروا بالتجارة اضراراً فادحه (ينظر: الطبري ،تاريخ الطبري، ج٩ ، ص ١٨٣٦ ؛ الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتاخرة ، (بغداد ، مطبعة الريان ، ١٩٥٤ م) ، ص ٨٧) .

(٥) صالح ، تاريخ اليمن الاسلامي في القرون الثلاثة الاولى للهجرة ، ص ٢٠٨ .

(٦) سالم ،البحر الاحمر في التاريخ الاسلامي ، ص ١٦ .

من خلال توفير الامان للتجار وحماية السفن التجارية واتباع نظام ضرائب على وفق قواعد ثابته من شأنها تشجيع النشاط التجاري.(١)

ففي التجارة الداخلية واسواق المدن والسلع المتبادلة نجدمن الملامح الرئيسة للمدن انها ذات طابع تجاري ، بل ان بعض الباحثين يعزو نشأة المدن اصلا الى انها مراكز للتبادل التجاري.(٢) وتمثل الاسواق مراكز النشاط التجاري بصورهِ ومراحله المختلفة التي انعكست انعكاسا مباشرا على نمطية الاسواق وأنواعها فكانت هناك الاسواق الموسمية كتلك التي كانت للعرب قبل الاسلام(٣)والاسواق الاسبوعية التي عرفت في بعض المدن الاسلامية(٤)والاسواق بداخل المدن التي تعددت مواضعها ومساحاتها حسب نشاطها وخدماتها التي تؤديها . وترجع نشأة الاسواق داخل المدن الاسلامية الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما انشا سوقا للمدينة قريباً من دورها كان عبارة عن ساحة من الارض خالية من البناء سمح لاهل المدينة باستغلالها(٥) وبمرور الوقت تطورت هذه الاسواق ويتلخص هذا التطور في وجود حوانيت للتجارة ومساكن تعلوها اجرة للراغبين في السكن كما انه اقر مبدأ تاجير البناء التجاري فضلا عن ان هذا التطور يتحدد في تبلور تصنيف التجار في مجموعات لكل مجموعة متخصصة في تجارة معينة موضع مستقل(٦).

وتدلنا اسماء الاسواق على تاكيد ظاهرة التخصص هذه ، ففي مكة يتمركز السوق في وسط المدينة مجاورا للمسجد الحرام ، حتى سميت بعض ابواب المسجد التي تشرف على هذه الاسواق باسماء المهن ، فكان هنالك باب البقالين ، وباب الخياطين(٧) وباب الزياتين وباب

---

(١) ينظر : المندعي ، داود الهادي (الدكتور) ، تاريخ اليمن الاقتصادي من القرن الرابع الى القرن السادس للهجرة ، رسالة دكتوراه ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الاردنية ، ١٩٩٧ م ، ص ص ١٤٤ – ١٤٦.

(٢) الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ،ط١ ، (بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٦٩ م) ، ص ٥٩ ؛ عثمان ، محمد عبد الستار ، المدينة الاسلامية ، ط١ ، (القاهرة ، دار الافاق العربية ، ١٩٩٩ م) ، ص ٢٥٢ .

(٣) لتفاصيل هذه الاسواق (ينظر : الافغاني ، سعيد ، اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، ط٢ ، (دمشق ، دار الفكر ، ١٩٦٠م) ، ص ص ٢٣١ – ٣٩١) .

(٤) ومنها سوق الاحد في دمشق وسوق الاثنين في مكناس والقصر الابيض وسوق الثلاثاء في بغداد وسوق الاربعاء في الموصل وسوق الخميس في فاس ومراكش،(عثمان،المدينة الاسلامية،ص ٢٥٢؛الكبيسي ، ،اسواق العرب التجارية قبل الاسلام، ص ٢٥).

(٥) السمهودي ، ، وفاء الوفا ، ج٢ ، ص ٧٤٧ .

(٦) عثمان ، المدينة الاسلامية ، ص ٢٥٥ .

(٧) الازرقي ، اخبار مكة ، ص ٣١٩ .

البزازيين وباب الدقاقين وباب التمارين(١) فضلا عن الاسواق المتخصصة الاخرى في بعض احياء مدينة مكة فكانت هناك ازقة خاصة للنجارين(٢)والدباغين(٣). كذلك الحال في المدينة المنورة ، فكان هناك سوق الحناطين والبزازيين(٤) والجزاريين(٥)

وتنشط العلاقات التجارية بين الاسواق فضلا عن تنوع استثمار راس المال في المجالات الاقتصادية كافة في وقت واحد ، وفي اكثر من مدينة من المدن الاسلامية(٦)

اماالطائف ففضلاً عن علاقاتها التجارية مع مكة ، ارتبطت مع بقية مدن الحجاز الاخرى ، فكانت تصدر لها الحنطة والاخشاب وبعض الصناعات ، ولاسيما الجلود ، وارتبطوا بعلاقات خاصة مع اهل المدينة المنورة بحكم العلاقة الاقتصادية القوية ، حيث كانوا يتبادلون المنافع(٧). كما كان يحمل الزيت من جدة ووادي القرى الى سوق المدينة(٨)وكان التجار يقدمون بالحنطة والسمك من جدة لبيعه في مكة ... (٩)

اما التجارة الخارجية ففي البر ترتبط بالحجاز منذ عهود قديمة وبعده بطرق متعددة بالمناطق المجاورة تحكم صلاته التجارية ، كاليمامة ، والبحرين ، والعراق ،ومصر، واليمن وبلاد الشام ، والحبشة ، وهي تربط مصالحه بمصالح الاقاليم الاخرى(١٠). وقد اهتمت الدولة العربية الاسلامية بهذه الطرق وغيرها لما تمثله من اهمية قصوى للدولة في كافة المجالات ، الدينية والعسكرية والادارية والاقتصادية(١١).ومن اهم هذه الطرق، الطريق الذي يصل الحجاز بالعراق

---

(١) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٧٣ .

(٢) الازرقي ، اخبار مكة ، ص ٤٤٥.

(٣) م . ن ، ص ٤٧٤ .

(٤) ابن انس ، المدونة ، مج١ ، ج٢ ، ص ٢٥٤ .

(٥) م .ن ، مج٤ ، ج٩ ، ص ٢٩٣ .

(٦)خليل ،محسن ، في الفكرالاقتصادي الاسلامي ،(بغداد ، دار الرشيد ، ١٩٨٢) ، ص ص ٥٨ – ٥٩ .

(٧) القيسي ، عاطف عباس ،ثقيف ودورها في التاريخ الاسلامي حتى اواخر العصر الاموي ، رسالة دكتوراه ، ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩١ ، ص ٤١ .

(٨) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٦ ، ص ٢٨٠ .

(٩) الفاكهي ، ابو عبد الله محمد بن اسحاق (ت في النصف الثاني من ق ٣ هـ)، اخبار مكة في قديم الزمان وحديثه ، تحقيق عبد الملك بن عبد الله ، ط٣ ، (مكة المكرمة ، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٨ م) ، مج١ ، ج٢ ، ص ٣٧١ .

(١٠) العلي ، الحجاز في صدر الاسلام دراسات في احواله العمرانية والادارية ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٠ م) ، ص ١٩١ .

(١١) لتفاصيل هذه المجالات ، (ينظر : العلي ، الحجاز في صدر الاسلام ، ص ص١٩٩ –٢٠١).

، ويظهر من كتب البلدانيين انه كان طريقان : احدهما عن طريق الكوفة، والاخر عن طريق البصرة ، وكلا الطريقين يخترقان صحارى شبه الجزيرة العربية ووديانها ويمران بالواحات والاماكن التي تتوفر فيها المياه(١) وكانت اغلب تجارة العراق تنقل عبر طريق الكوفة(٢)، اما اما طريق البصرة فكانت تصل من خلاله البضائع والسلع من الولايات الشرقية الاسلامية فضلا عن السلع الواردة من الهند والصين(٣).

وقد اهتمت الدولة العربية الاسلامية، بصيانة هذه الطرق وبذلت اموالاً كبيرة لاصلاحها(٤).

اما الطريق المَوصّل الى مصر ، فيدخل الحجاز عند مدينة مدين التي يفترق عندها الى طريقين احدهما داخلي يتجه نحو المدينة المنورة ، اما الاخر فيسير بمحاذاة الساحل حتى يعكف نحو مكة(٥). وكان قسم كبير من الحجاج والتجار يفضلون هذا الطريق على الطريق البحري رغم معرفتهم الكبيرة بطريق القلزم وذلك لطول المسافة البحرية التي تقطعها السفن من القلزم الى موانئ الحجاز وما يترتب على ذلك من المخاطر(٦).

اما منطقة الخليج العربي فقد ارتبطت بطرق داخلية عديدة مع الحجاز سلكتها قوافل الحجاج والتجار ، ومنها الطريق الذي يبدا من البحرين ماراً باليمامة حتى يدخل بلاد الحجاز عند ناحية ضرية(٧). وطريق عُمان الذي يمر بعدد من الاودية والواحات حتى يصل اليمامة ليتجه منها نحو الحجاز ، وكان ينقل عبر هذا الطريق سلع ميناء صحار ولاسيما المنسوجات والكماليات التي انتشرت في منطقة الحجاز منذ عصر ما قبل الاسلام وفي العصور الاسلامية(٨).

وكانت القوافل التجارية بين الحجاز واليمن تمر عبر طريقين ، هما الطريق الساحلي ويبدا من عدن ماراً عبر المدن الساحلية حتى يصل جده(٩)، اما الطريق الاخر فهو داخلي يبدا من عدن

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٢ .

(٢) ينظر : المسري ، تجارة العراق في العصر العباسي ، ص ص ٣٨٨ – ٣٩٠ .

(٣) الحربي ، ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم (ت٢٨٥ هـ)، المناسك واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق تحقيق حمد الجاسر ،(الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٩٦٩ م) ، ص ٥٨٧ .

(٤) الطبري، تاريخ الطبري ، ج٧ ، ص ص ٥١٢ – ٥١٣ .

(٥) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤١ ؛ الاصطخري ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت ٣٤٦ هـ)، المسالك والممالك ، (ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٢٧ م) ، ص ٢٧.

(٦) سالم ، البحر الاحمر ، ص ٥٠ .

(٧) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٨٢ .

(٨) قرقش ، محمد الشحات ، صحار عبر التاريخ ، ط١ ، (مسقط ، مؤسسة عُمان للصحافة والانباء والنشر والنشر والاعلان ، ٢٠٠٠م) ، ص ١٠٨ .

(٩) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٢٨ .

عدن باتجاه صنعاء ماراً عبر المدن والقرى حتى ينتهي الى مكة(١). وهو اقصر الطرق التجارية التجارية بين اليمن والحجاز ، وهو المعروف بطريق المخاليف لكثرة القرى الواقعة على امتداده(٢).

ويعد الطريق الرئيس بين اليمن والحجاز الذي يمثل طريق العمال (الطريق الرسمي) ، فضلا عن انه شريان الحجاز التجاري لبضائع اليمن وما يدخلها من تجارات عبرها قادمه من البحر(٣)

اما الطرق البحرية فتقع الحجاز ومصر على الطريق التجاري البحري الموصل بين المشرق والمغرب وفضلا عن كون موانئ الحجاز محطة لسفن التجارة العالمية فقد كان للحجازيين علاقات تجارية مهمه مع موانئ البحر الاحمر الاخرى وموانئ الخليج العربي ، سواء من خلال عمليات التبادل التجاري المباشرة ، او من خلال الوساطة التجارية. فارتبطوا بخطوط بحرية تجارية مع مصر والعراق واليمن نقلت عبرهم اغلب احتياجات بلاد الحجاز من المواد الغذائية(٤).

وارتبطت الحجاز بالبحرين وعُمان على الطريق الساحلي عبر سواحل شبه الجزيرة العربية الجنوبية نقلت عبره المنتجات الهندية والصينية الى الحجاز.(٥)

ولابد من الاشارة الى ان من الطرق المهمة هو الطريق الشرقي من بغداد الى حلوان ، وهو جزء من طريق خراسان التاريخي وهو يسير من بغداد الى همدان، وقزوين ، والرى، ونيسابور ، ومرو ، وبخارى ، وسمرقند، حيث يتشعب فيذهب الخط الشمالي الى خوارزم والشرقي الى الصين .(٦) (٦).

السلع المتبادلة مع الاقاليم :

ان تبادل السلع من واردات وصادرات تتم بما كانت تتميز به كل مدينة او اقليم من منتوجات زراعية وصناعات متوفرة في كل منها ،فكانت تصل الى الحجاز عن طريق البحر سلع من جهات غربية وشرقية عن طريق التجار الاجانب الاوربيين، فياتون ومعهم الديباج وجلود الخنزير

---

(١) م . ن ،ص٢٨ .

(٢) الفقيه،حسن بن ابراهيم ،حوليات سوق حباشه(السعودية ، منشورات نادي ابها الادبي،١٩٩٥)، ص ٤٠ .

(٣) الاسعد ، حسام الدين احمد محمود ، اليمن في القرنين ١ ،٢ الهجريين ، دراسة في الاحوال السياسية والاقتصادية ، رسالة دكتوراه ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٥ ، ص ١٣٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٧ ، ص ٤٩٢ .

(٥) قرقش ، صحار عبر التاريخ ، ص ١٠٨ .

(١) معروف ، المدخل في تاريخ الحضارة العربية ،ص ٧٠ .

والفراء والسيوف وفي طريق عودتهم من السند والهند والصين يجلبون المسك والعود والكافور والدار صيني وغير ذلك الكثير. وقد كانت السلع تصل الحجاز من مختلف الدول والاقاليم ، فمن العراق تاتي الحبوب في مقدمة سلعه ، خاصة الحنطة والشعير واكثر ما يكون ارسالها الى الحجاز في موسم الحج(١)، وكذلك الخيول الاصيلة(٢) والمواشي الاخرى(٣). ومن المنسوجات العمائم العراقية المعروفة بعمائم السكب(٤) ،والخز الكوفي ، والملاحف البصرية والسيجان المعروفة بالكردية (٥).

وفضلا عن منتجات اليمن الاخرى ومنتجات غيرها من البلدان التي تصل الحجاز وعن طريقها مثل العود والعطور والبخور واللبان والمر والعقاقير الطبية والجلود والاقمشة والعقيق(٦) واشتهرت واشتهرت اليمن ببعض المنتجات الصناعية واهمها المنسوجات ومنها برود الجريب(٧) والجريب والجريب من اسواق اليمن المشهورة يتسوقه اهل تهامة ومكة وعثر وجميع بلاد همدان(٨)، فضلا عن الكساوي السنوية التي تجلب الى الكعبة.(٩)

ومن مصر كانت تجلب اغلب احتياجات الحجاز من المواد الغذائية(١٠) كذلك المنسوجات وابرزها الكتان الفسطاطي والشطوي والقباطي والقلانس المصرية(١١). وكانت الشام تصدر الى الحجاز الزيت والسويق(١٢)والفواكه والمنسوجات.(١٣) اما عمان فكانت

---

(١) الكبيسي والاعظمي ، دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي ، ص ١٢٤ .

(٢) المسري ، تجارة العراق في العصر العباسي ، ص ٣٩٠ .

(٣)ابن الفقيه الهمداني ، ابو بكر احمد بن محمد (ت في اواخر ق ٣ هـ)، مختصر كتاب البلدان ، (ليدن،نشر دي غويه ، ١٣٠٢ هـ)، ص ٢٥٢ .

(٤) المسري ، تجارة العراق ، ص ٣٧٧ .

(٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٢ ، ص ٣٤ .

(٦) المندعي ، تاريخ اليمن الاقتصادي ، ص ٢٣١ .

(٧) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٩٨ .

(٨) الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف ، اليمن في ظل الاسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني الرسول ، ط١ ، (القاهرة، دار الفكر العربي ، ١٩٨٢ م) ص ٢٥٤ .

(٩) صالح ، تاريخ اليمن الاسلامي ، ص ٢٠٧ .

(١٠) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٤ .

(١١) ابن انس ، المدونة ، مج٤ ، ج٩ ، ص ٢٣ . ؛ المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٠٤ .

(١٢) المسري ، تجارة العراق ، ص ٣٧٧ .

(١٣) ابن بكار ، نسب قريش ، ج١ ، ص ٢٧٣ .

تصدر الى الحجاز المنسوجات والكماليات وخامات هندية وصينية وبخاصة خامات القطن التي تحمل في بالات كبيرة من القطن المحلوج(١) وتحمل على ظهور السفن الى جدة.(٢)

واشهر ما استورد تجار الحجاز من خراسان الالبسة ومنها الثياب المروية والربط السامرية والكتان الهروي والجباب النيسابوري.(٣) ومن الحبشة والنوبة كانو يستوردون العبيد والجواري ولهم اسواق خاصة في البلاد يتم بيع بعضهم الى البلاد الاخرى ، فذكر الصابي ان الموفق طلحة اشترى كثيرا من عبيده من اسواق مصر ومكة(٤).

اما صادرات الحجاز فهي قليلة نسبياً ، بسبب من قلة الانتاج ، وبداوة الغالبيةمن السكان . وتمثلت الصادرات في بعض الحاصلات الزراعية والحيوانية التي تحملها معها القوافل التجارية في عودتها ، ومنها الزيت والتمور والقرظ والصوف والوبر والجلد(٥). ويأتي في مقدمة هذه الحاصلات التمور والجلود(٦) ، هذا فضلا عن الخيول والجمال(٧)

وكانت المقايضة سائدة في المعاملات التجارية ، وخاصة في تجارة الالبسة والمواد الغذائية ، فقد اعتادت بعض قبائل اليمن على مبادلة ما يجلبونه الى مكة من منتوجاتهم بما يجدونه في اسواقها من الخرق والعباءات والاقنعه والملاحف وغير ذلك من ملابس الاعراب.(٨)

---

(١) المحلوج : المقشر الجاهز للنسيج ، (ابن منظور ،لسان العرب ، ج٢ ، ص ٣٦٣) .

(٢) قرقش ، صحار عبر التاريخ ، ص ١٠٨ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات ، ج٨ ، ص ٢٥٢ ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٥ ، ص ١٥٤ .

(٤) الصابي ، ا ابو الحسن الهلال بن المحسن (ت ٤٤٨ هـ)، الوزراء او تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، الطبعة الثانية (مصر ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٨ م) ، ص ١٦ .

(٥) مالكي ، بلاد الحجاز ، ص ٩٦ .

(٦) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٣ ؛ ابن المجاور ، جمال الدين بن الفتح يوسف بن يعقوب (ت ٦٩٠ هـ)، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسمى تاريخ المستبصر ، (ليدن ، مطبة بريل ، ١٩٥١ م) ، ص ٢٥ .

(٧) الجاحظ ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٦ هـ) ، التبصر بالتجارة ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، (تونس ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٦ م) ، ص ٣٤.

(٨) المندعي ، تاريخ اليمن الاقتصادي ، ص ٢٠٨ .

الفصل السابع
نظام القضاء والداخلية والعسكرية

القضاء :

القضاء في اللغة هو القاطع في الامور المحكم لها . وتأتي بمعنى الحكم والالزام . وتعني اصطلاحاً الفصل في الخصومات .(١) إذ كان العرب قبل الاسلام يرجعون الى عقلائهم في حل الخصومات، وفض النزاعات، ورد المظالم ، وانزال العقوبات على المعتدين. وكثير ما كانوا يرجعون الى التحكيم ، وعقد الاحلاف كحلف الفضول :الذي تقرر فيه الا يظلم أحد في مكة إلا انصفوه، واخذوا له حقه . ومن قضاة العرب قبل الاسلام هاشم بن عبد مناف ، وابنه عبد المطلب جد الرسول (صلى الله عليه وآله)، وابو طالب...وغيرهم كثير. ولما جاء الاسلام تولى الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) القضاء بنفسه.(٢) ولما انتشرت الدعوة خارج الحجاز الحجاز (مكو والمدينة) اذن الرسول (صلى الله عليه وآله) لبعض الصحابة بالفصل بالخصومات ومن ذلك انه قلد علي بن ابي طالب (عليه السلام) قضاء اليمن ، فكان معه علم الرسول (صلى الله عليه وآله) فهو القائل : علمني رسول الله الف باب من العلم يفتح لي من كل باب الف [الف] باب.كما تجدر الاشارة الى ان الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) كتب كتابا لمالك الاشتر عامله على مصر، يعتبر من احسن العهود في امور الادارة والقضاء.

وبعد ان كان الخليفة في صدر الاسلام، يعين على كل اقليم قاضياً ، اصبح يولي في المدن الكبيرة عدة قضاة ، كل قاض في جانب من جوانبها.(٣) وكان النظر في الخصومات يتم في المساجد .ومن اهم المظاهر المستجدة في عهد الخليفة علي بن ابي طالب (عليه السلام) استحداثه بيتاً تطرح فيه قصص المتظلمين ، وكان الغرض منذلك فسح المجال للرعية بطرح مشاكلهم وشكواهم دون خوف ، فتطرح الشكوى في رقعة دون ذكر اسماءهم .(٤)

---

(١) فوزي (واخرين) ، النظم الاسلامية ،ص ١٩٩ .

(٢) معروف ،المدخل في تاريخ الحضارة العربية ، ص٣٨ .

(٣) م. ن، ص٣٨_٣٩ .

(٤) فوزي (واخرين)،النظم الاسلامية ،ص٢٠١_٢٠٢ ؛ جاسم ، عطا سلمان، النظر في المظالم في الخلافة العربية الاسلامية حتى لغاية القرن الثالث الهجري ، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الاداب، جامعة بغداد ،١٩٨٥م ، ص٥٥_٥٧ .

اما خلال العصر الاموي فتميز القضاء فيه : بإن القاضي كان يقوم بالاجتهاد في احكامه ، اذ لم تكن المذاهب الفقهية قد ظهرت انذاك .كما تميز القاضي في هذه الفترة بان كلمتة ما زالت مسموعة من الولاة وعمال الخراج . وتميز القضاة في هذا العصر بظهورسجلات القضاة لتسجيل الاحكام بسجل خاص .وفي العصر العباسي ظهرت المذاهب الاسلامية وتقيدت احكام القضاة بها . فاصبح القاضي في العراق يحكم وفق مذهب ابي حنيفة ، وفي مصر على مذهب الشافعي ، وفي افريقيا والاندلس على مذهب مالك ، ثم انتشر بعد ذلك مذهب احمد بن حنبل .

* وتجدر الاشارة الى **فكر الامام الصادق (عليه السلام) في هذا الجانب والذي كان في مقدمة المذاهب الاسلامية :**

إذ حذر الامام جعفر الصادق في طروحاته وافكاره اصحابه من الترافع الى حكام يحكمون بما تمليه عليهم اهواؤهم وجورهم، فقال: ((اياكم ان يحاكم بعضكم بعضاً الى اهل الجور، ولكن انظروا الى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه بينكم قاضياً فاني جعلته قاضياً فتحاكموا اليه)). نلمس من هذا النص ان الامام الصادق اسس نظاماً قضائياً يتبع في مرجعيته الى الفكر الجعفري، داخل نظام الدولة العربية الاسلامية، فهو الامام الواجب الطاعة العالم بالقضاء العادل في المسلمين.(١) فالقضاة في فكر الامام الصادق اربعة اصناف ((ثلاثة في النار وواحد في الجنة، رجل قضى بجور [الباطل] وهو يعلم [انه باطل] فهو في النار، ورجل قضى بجور وهو لايعلم فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو لا يعلم [انه حق] فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة))(٢). وهذا تقسيم رباعي لحكم القضاة يكمن وراءه عظمة المسؤولية التي يتحملها القاضي عند اصداره الحكم.(٣) فاخذ الامام الصادق يؤكد للمجتمع العربي الاسلامي ضرورة الترافع الى حكام وقضاة العدل والحق، وهكذا جعل الامام الترافع الى

---

(١) ينظر : الكليني ، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق(ت ٣٢٨ هـ)،الكافي، تحقيق: علي اكبر غفاري، ط٣(طهران، مطبعة حيدري– منشورات دار الكتب الاسلامية، ١٩٦٨).، ج٧، ص٤٠٦_٤١٢؛ الصدوق ، الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، من لايحضره الفقيه، تحقيق: علي اكبرغفاري، ط٢ (قم، جامعة المدرسين، ١٤٠٤هـ)، ج٣، ص٥ .

(٢) الصدوق، من لايحضره الفقيه، ج٣، ص٤؛ الطوسي ، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان، ط٤ (طهران، مطبعة خورشيد، ١٩٨٦م)،ج٦،ص٢١٨؛ الحر العاملي ، محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ/١٦٩٢م)،وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: محمد الرازي (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٩م)، ج١٨، ص١٢٧.

(٣) الكليدار، حيدر محمد حسن عباس، الامام الصادق ودوره في المعرفة التاريخية، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الاداب – جامعة الكوفة، ١٩٩٧، ص١٧٧.

القضاة المشكوك في ذممهم وعدلهم بمثابة الكفر والشرك بالله،فقال: ايما مؤمن قدم مؤمناً في خصومه الى قاضٍ او سلطان جائر فقضى عليه بغير حكم الله عزوجل فقد شركه في الاثر.(١) ويتجلى دور وتاثير فكر الامام الصادق عندما نجده ارسل اصحابه وثقاته لبث فكره وطروحاته السياسية في هذا الجانب، وارشدهم الى عدم الترافع الى القضاة والحكام الذين فقدوا مصاديقهم عند الامام ولم تحظ باعترافه، ففي رواية ابي خديجة(٢)، قال ((بعثني ابو عبد الله الى اصحابنا فقال: قل لهم اياكم اذا وقعت بينكم خصومة او تداري بينكم في شئ من الاخذ والعطاء ان تتحاكموا الى احد من هؤلاء الفساق اجعلوا بينكم رجلاً من قد عرف حلالنا وحرامنا فاني قد جعلته قاضياً))(٣) اذ نستشف من هذه الرواية الدور والمنهج الفكري السياسي والقيادي للامام الصادق بارساله اصحابه وثقاته ونوابه لنقل فكر المرجعية الجعفرية الى ارجاء البلاد العربية ولتنظيم المجتمع واصلاحه. ولابد من الاشارة الى انه رغم فقدان الرواية العنصرين الزماني والمكاني، الا اننا يمكن ان نستنتج ان التطبيق الفكري الجعفري كان في اواخر الدولة الاموية والبدايات العباسية، وتحديداً في العقد الثالث والرابع من القرن الثاني الهجري، وكان التطبيق في الكوفة،وذلك لان المرسل لهذه الرواية (ابو خديجة) كان من اهالي الكوفة والذي عاش في هذه الفترة حتى نجد ان الامام ابا حنيفه رفض تولي القضاء وأبى حتى ضُرب على ذلك ولم يقبل وكذلك لم يقبل كثير من صالحي الامة .(٤)

---

(١) الصدوق، من لايحضره الفقيه، ج٣، ص٤؛ الشهيد الثاني، زين الدين بن علي بن احمد العاملي (ت ٩٦٥هـ)، مسالك الافهام الى تنقيح شرائع الاسلام (قم، مؤسسة المعارف الاسلامية ، ١٤١٦هـ) ج٣، ص١١٠؛ النراقي ، احمد بن مهدي بن ابي ذر الكاشاني (ت١٢٤٥هـ)،مستند الشيعة في احكام الشريعة ط١، (قم، مطبعة ستارة ،١٤١٩هـ)، ج١٧، ص٤٠.

(٢) ابو خديجه: هو سالم بن مكرم بن عبد الله ابو خديجه، ويقال ابو سالمه الكناني الجمال، ويقال صاحب الغنم، مولى بني اسد، كنيته ابو خديجه، ولكن اباعبد الله الصادق كناه ابا سلمه، وهو من اهالي الكوفة الثقات، روى عن الصادق والكاظم (عَلَيْهِما السَلام) (ينظر: النجاشي ، ابو العباس احمد بن علي (ت ٤٥٠هـ) ،رجال النجاشي، (قم، مؤسسة النشر الاسلامي ، ١٩٩٥م) ، ص١٨٨؛ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشي، تحقيق: ميرد امـاد الاسـترابادي– ومحمـد بـاقر الحسـيني ومهـدي الرجـائي (قـم ، مطبعـة بعثت،١٩٨٣م)، ج٢، ص٦٤؛ العلامة الحلي ، حسن بن يوسف أبن المطهر (ت٧٢٦هـ)، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، تحقيق: جواد القيومي، ط١ (قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٩٩٦ م)، ص ٣٥٥).

(٣) الطوسي، تهذيب الاحكام، ج٦، ص٣٠٣؛ السبزواري، محمد باقر(ت١٠٩٠هـ)، كفاية الاحكام (قم، مطبعة مهر، د.ت) ص٢٦١.

(٤) الكاشاني ، ابو بكر بن مسعود بن احمد (ت٥٨٧هـ)،بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (مصر، مطبعة شركة المطبوعات العلمية، ١٣٢٧هـ)، ج٧، ص٤.

ولابد من الاشارة في هذا الجانب الى الدور الميداني الذي لعبه الامام الصادق قاضياً يرفع اليه الناس ويحكم بينهم بنفسه.(١) وابعد من ذلك نجد ان ولاة عصره يستشيرونه في مسائل الشرع والقضاء ليعطي حكمه، فاصبح مرجعاً دينياً وسياسياً في امر القضاء.(٢)

واصبح علماً في هذا المجال حتى قال نوح بن دراج(٣) لابن ابي ليلى(٤): اكنت تاركاً قولاً قلته او قضاء قضيته لقول احد؟ قال: لا الا رجل واحد، قلت: من هو؟ قال: جعفر بن محمد.(٥)

وهكذا نلمس مدى تاثير الفكر الجعفري وقوته في هذا الجانب حتى اصبح نموذجاً ومنهجاً يقتدى به بعده. فالامام موسى الكاظم (ت١٨٣هـ/٧٩٩م) الذي حمل فكر ابيه الصادق (عَلَيْهِما الَسَلام) نجده يفتي ويقضي في مجلس الخليفة العباسي هارون (ت١٨٠-١٩٣هـ/٧٩٦-٨٠٨م) وكذلك نوح بن دراج قاضي المصرين (الكوفة والبصرة) وحامل العقيدة والفكر الجعفري.(٦)

---

(١) الاردبيلي ، احمد بن محمد المعروف بالمقدس الاردبيلي(ت ٩٩٣هـ) ، مجمع الفائدة والبرهان، تحقيق: آغا مجتبى العراقي – وعلي بناه الاشتهاردي وآغا حسين اليزدي، ط١ (قم، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٦هـ)، ج١٣، ص٢٢١؛الحر العاملي، وسائل الشيعة ،ج١١،ص٣٤٠و ج١٨، ص٥٣١.

(٢) ينظر: الكليني، الكافي، ج٧، ص١٦٧؛ الطوسي، الخلاف، تحقيق: علي الخرساني – وجواد الشهرستاني– ومحمد مهدي نجف، ط١، (قم، مؤسسة النشر الاسلامي ، ١٩٩٦م)،ج١، ص٦٨٦-٦٨٧.

(٣) نوح بن دراج بن الصبيح بن عبد الله النخعي،مولاهم الكوفي القاضي، ابو ايوب، واخوه جميل بن دراج، اللذان كانا يرويان عن الامامين الصادق والكاظم (عَلَيْهما الَسَلام) واصحابهما، توفي في ايام الرضا (أي قبل سنة ٢٠٣هـ)(ينظر: الطوسي، رجال الطوسي، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني،(قم،مؤسسة النشر الاسلامي،١٩٩٤م).، ص٣١٤؛ العلامة الحلي، خلاصة الاقوال، ص٥٧٨-٥٧٩).

(٤) ابن ابي ليلى: هو محمد بن ابي ليلى يسار وقيل داود، الانصاري، الكوفي، ولد سنة ٧٤ هـ وهو من الفقهاء المعروفين واصحاب الراي ، ولي القضاء والحكم بالكوفة لبني امية، ثم لبني العباس، واستمر ٣٣ سنة ، مات بالكوفة سنة ١٤٨ هـ (ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق،ج ٣٦، ص ٧٨؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ (منشورات مكتبة الحرم المكي – باعانة وزارة معارف الحكومة العالية الهندية، ١٩٢٨م) ، ج١، ص١٧١؛ التفرشي ، السيد مصطفى (ت بعد ١٠٤٤هـ)،نقد الرجال، تحقيق: مؤسسة آل البيت لاحياء التراث ، ط١، (قم، مطبعة ستارة، ١٩٩٧م) ، ج٤، ص٢٤١؛ الزركلي، الاعلام، ج٦، ص١٨٩).

(٥) الطوسي، تهذيب الاحكام، ج٦، ص٢٩٢؛ ابن شهراشوب ، أبو عبد الله محمد بن علي (ت ٥٨٨ هـ)،مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف (النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٥٦م)، ج٣، ص٣٧٣؛ العطار، داود ، "الجهاد السياسي والامام الصادق (عَلَيْه الَسَلام)" ، مجلة دراسات اسلامية، العدد١، (النجف، تصدرعن جامعة النجف الدينية، ١٣٨٤هـ)، ص٣٧.

(١) الصدوق، عيون اخبار الرضا، تحقيق: حسين حسين الأعلمي، ط١ (بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٤٠٤هـ)، ج٢، ص٧٩-٨٠؛ الطبرسي ، ابو منصور احمد بن علي (ت ٥٦٠هـ)الاحتجاج ، تحقيق : محمد باقر الخرسان، (النجف، منشورات دار النعمان، ١٩٦٦م)، ج٢، ص١٦٣.

وهكذا نخلص الى ان الامام الصادق وضع منهجاً فكرياً اساسه عدم الترافع الى حكام الجور والظلمة، وابتكر (عَلَيْهِ الَسَلام) النظام الاصلح باختيار الرجل العدول وعلى معرفة بالحلال والحرام، ليضمن لمجتمع الدولة العربية الاسلامية العدل وان يحكم نفسه بنفسه ضمن نظام بسيط قائم على الاصلاح والعدل الالهي.

ولو عدنا الى مميزات القضاء في العصر العباسي نجد ان اهم مظاهره استحداث منصب قاضي القضاة واول من عين فيه هو القاضي ابي يوسف صاحب كتاب الخراج في عهد الرشيد ، كما ظهر في عهده قضاة الجند ، ولابد من الاشارة الى ان هذا العصر لم يخلو من تدخل في امر القضاء والحكم وذلك من قبل الخليفة نفسه او من قبل الوالي او قائد الجيش.كما تجدر الاشارة الى ان في هذا العصر كان في الاندلس منصب قاضي الانصار .(١)

وقد ذكر القضاة في آداب القضاء امراً منها: لا يجوز له ان يقضي القاضي وهو غضبان ، ولا جائع ، ولا عطشان ، ولا في حال الحزن الشديد ، ولا الفرح الشديد ، ولا يقضي ةالنعاس يغلبه ،... (وكانت المساجد هي الاماكن التي يترافع فيها ، كماكان القضاة يتقاضون رواتب تختلف باختلاف الازمان والدول).(٢)

الحسبة :

الحسبة لغوياً من تحسب الاخبار ، أي تجسسها ، وهي وظيفة دينية قضائية ناصحة رادعة . عرفها الماوردي(ت ٤٥٠هـ):" هي امر بالمعروف ان ظهر تركه ونهي عن المنكر اذا أظهر فعله"(٣). اذ ان المحتسب هو مصلح ديني اجتماعي اقتصادي له صلاحية المحاسبة القضائية ومفوض من الخليفةة او الوالي. اما اهم واجبات المحتسب النظر في اداب العامة ، والبيع في الاسواق (أي بيع الفاسد وغير ذلك) ، ومراقبة الموازين والمكاييل والنقود التي يتعامل بها الناس ، كما يراقب الشورع والطرقات لتسهيل المرور، ويحكم في قضايا الغش والتدليس... وتجدر الاشارة الى ان الفقهاء وضعوا مواصفات خاصة لولاية الحسبة كأن يكون عيفاً وورعاً وعالماً، فطناً،...(٤) وله نواب يرسلهم الى ارباب الحرف ، حيث يجلس المحتسب في الجامع ، ، ويبعث نوابه في الشوارع لتفقد البيع في السوق ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . اما

---

(٢) فوزي (واخرين) ، النظم الاسلامية، ص٢٠٤-٢٠٥ .

(٣) معروف ، المدخل في تارريخ الحضارة العربية ، ص٣٩ .

(٤)الماوردي ،الاحكام السلطانية،ص٣٦٢ .

(١) فوزي (واخرين) ، النظم الاسلامية ، ص٢١١-٢١٢

الحسبة في الاندلس فكانت تسمى خطة الاحتساب ويتولاها قاض ،فكان يسير في الاسواق ومعه اعوانه يتفقد السوق من الغشاشين .(١)

النظر في المظالم :

المظالم هي منح اهل الحقوق حقوقهم . والمظالم سلطة قضائية ارفع من القضاء الاعتيادي ، وكان يتولاها رجال اصحاب القوة والنفوذ واحياناً يتراسها الخليفة ،وذلك ان بعض القضايا التي تطرح من المتظلمين ربما تتعلق بشكاوى ضد رجال الدولة الكبار من موظفي الديوان واعيان البلد ، ممن تجاوز واغتصب حقوق الناس الضعفاء .(٢) وكانت مهمة النظر في المظالم عادة تستند الى رجل جليل القدر ، ظاهر العفة ، كثير الورع ، قوي لا يخاف في الله لومة لائم ، فينظر في حكم يعجز عنه القضاء .(٣) ولعل ابرز ظاهرة في تاريخ العرب قبل الاسلام ما حدث في مكة عندما عقد حلف الفضول ، لنصرة المظلوم واخذ الحق من الظالم (وان لا يركوا لاحد عند احد فضلا الا اخذوه) فبذلك سمي حلف الفضول .

لقد تولى الرسول (صلى الله عليه وآله) بنفسه النظر بالمظالم لحماية المسلمين من التجاوز على حقوقهم ، حتى انهكان يعزل عامله اذا اشتكاه اهل البلد التي ولي عليها ، وكذلك كان الصحابة الأخيار (رض) ، وهو منهج امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) الذي تطور نظام النظر في المظالم في عهده فإستحدث بيت القصص ، وجلس للمظالم ينظر في شكوى الناس ، وكان (عليه السلام)يوصي عماله بالحسنى على جميع رعايا دار الاسلام ،كما كان (عليه السلام) يدعو عماله الى انصاف اهل الذمة ،فمن وصيته الى معقل بن قيس حين سار الى الاحواز "اتق الله ما استطعت فإنها وصية الله للمؤمنين لا تبغ على اهل القبلة ولا تظلم أهل الذمة " .(٤)

وتجدر الاشارة الى ان بعض بني امية نظروا في المظالم ،فكان ابرزهم عمربن عبد العزيز.

وابان العصر العباسي تبلور نظام النظر في المظالم واصبح له ديوان خاص عرف بـ (ديوان المظالم)يرأسه صاحب المظالم وهو الخليفة او الوزير ، ويعوانه كاتب يدورن محاضر الجلسات ،

---

(٢) معروف ، المدخل في تارريخ الحضارة العربية ، ص٤٠ .

(٣) فوزي (واخرين) ، النظم الاسلامية ، ص٢١٣ .

(٤) فهد (واخرين)، الحضارة العربية الاسلامية ، ص٧٣ .

(٥) الطبري،تاريخ الطبري،ج٤،ص٩٤؛ابن ابي الحديد،شرح نهج البلاغة ،ج٣،ص١٣٧ ؛ فوزي (واخرين) ، النظم الاسلامية ، ص٢١٤ –٢١٥ .

وشهادة الشهود ، وكانت محكمة المضالم تنعقد في المسجد . وان كانت قد تطورت في اماكنها في عهد المهدي والرشيد والمأمون .(١)
وبعد ان ضعفت الدولة العباسية ومجيئ الاتراك ... والعناصر الاجنبية وتنفذها على الدولة ، اصبح الخلفاء بعيدين عن السلطة الفعلية فاصبحت المظالم بايدي اشخاصخارجين عن مواصفات صاحب المظالم .حتى ان ام المقتدر كانت تعين قهرمانات تنظر في المظالم .(٢)

الشرطة :

اصل الكلمة من شرطي ،وجمعها شرط ،والشرطة مؤسسة قضائية شبه عسكرية وهم الرجال الذين يؤلفون الحرس الخاص ، ثم استخدم بمعنى رجل الامن ، ويرجع جذورها الى العصر الراشدي حيث عين الخليفة علي بن ابي طالب(عليه السلام) قيس بن سعد الانصاري على شرطة الكوفة ، وتطور هذا النظام خلال العصور التي تلته .فنذكر صلاحيات صاحب الشرطة : كان للشرطة تقسيمات يرأسها صاحب الشرطة تتوزع على احياء المدينة ، وكانوا يتقاضون رواتب عالية ويتمتعون بمنزلة خاصة لدى الخليفة والولاة والقضاة . فكان صاحب الشرطة يساعد السلطة على تنفيذ احكام القضاة وحماية الامن والاخلاق في المدينة ، ويختار صاحب الشرطة من ابرز موظفي الدولة كقوة وحلم ومتفكر وقليل التبسم وغير عجول ... فكان صاحب الشرطة يقلد القاضي في جلساته ، فيتصدر المجلس وعلى جنبه كاتبه لتدوين محاضره واحكامه ويقف حوله اعوان كثيرون وهم مسلحون .وفي العصور العباسية المتاخرة ظهرت جماعة منظمة في المدن تقوم بحماية الاسواق واصحاب الحرف والتجار ويسمون بالفتوة لمساعدة الشرطة على تطبيق النظام وحفظ الامن .(٣)
وقد انقسمت الشرطة في الاندلس الى شرطة كبرى ، تحكم في الخاصة والزعماء واهل المراتب السلطانية . وشرطة صغرى تحكم في العامة ، وكان صاحب الشرطة عندهم يسمى : صاحب المدينة ، او صاحب الليل . كما انه كان من المرشحين للوزارة او الحجابة .(٤)

الحجابة :

---

(١) فهد (واخرين) ، الحضارة العربية الاسلامية ،ص٧٤ .
(٢) فوزي (واخرين) ، النظم الاسلامية ، ص٢١٩ .
(٣) م . ن ، ص٢٠٨-٢١٠ .
(٤) معروف ، المدخل في تارريخ الحضارة العربية ، ص٤١ .

من موظفي الدولة الاموية والعباسية الحجاب ،والاصل في مهنة هولاء الوقوف في باب الخلفاء والوزراء وارباب الدولة لحجب الناس عن مقابلة المحجوبين ، وعدم ادخالهم الا بعد الاذن بذلك .فلم يكن هذا الامر موجودا في عهد الرسالة والراشدين ، حتى اتخذ معاوية ومن جاء بعده هذا الامر.(١)ان وظيفة الحجابة في العراق كانت تختلف عنها في الاندلس ففي العراق كان الحاجب يقابل رئيس التشريفات اليوم اما في الاندلس فالحاجب هو رئيس لحكومة ، ويمثل الخليفة في كل سلطاته، وينظم شؤون الادارة والحرب . وهو الوزير الاقرب من الخليفة.(٢)

ولابد من الاشارة الى ان كثير من الحجاب كانوا من الادباء والعلماء ، لذا كان بعظهم ينتقل من الحجابة الى دواوين اخرى .الا ان هولاء الحجاب كانوا موضع نقمة وسخط الرأي العام عندما يسيئون استخدام هذه الوظيفة الادارية المهمة .

الجيش :

برع العرب المسلمين في هذا الجانب وتميزوا عن غيرهم من الشعوب ، وادخل الرسول(صلى الله عليه وآله) نظام القتال في صفوف متراصة يسند بعضها بعضاً . ثم ظهر نظام تقسيم الجيش الى خمسة اقسام : القلب في الوسط ، ثم الجناحان أي الميمنة والميسرة ، ثم المقدمة في الامام ، ثم الساقة او المؤخرة في الخلف للحماية . وكان العرب اول من استخدم نظام الكراديس (الكتائب) في القتال وهو استبدال الصف المستقيم بكتل صغيرة متراصة تدعى كل كتلة بالكردوس(وقيل هو نظام بيزنطي) . فالاسلام في بداية امره جعل المسلمين مستعدين للحرب وهو النفير العام من اجل اعلاء كلمة الله ، وصار الرسول (صلى الله عليه وآله) القائد العام للجيش ، ثم الخلفاء من بعده . وتجدر الاشارة الى ان العرب المسلمين عملوا على تأسيس ديوان للجند يسجل فيه اسماء المقاتلة لضمان العطاء لهم ولذراريهم . وقد ابتدع الفكر العربي الاسلامي قوات الردع او قوات الطوارئ او التدخل السريع التي تلبي متطلبات الستراتيجية العسكرية .كما تعد فكرة صنع الدبابت (مصنوعة من الخشب السميك المغطى بالجلد القوي ، يدخله المقاتلة ليحمون انفسهم ، ثم تطورت واصبحت تسير على عجلات وفي داخلها سلالم لصعود الحصن)واستخدامها في الهجوم فكرة عربيةاسلامية ، فقد صنعت في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) واستخدمت في حصار الطائف . وكان العرب المسلمين من اوائل من طبقوا التجنيد الاجباري . كما استعمل الامويين في الجيش الى جانب العرب الموالي ايضاً ،

---

(١) فهد ،(واخرون) ،الحضارة العربية الاسلامية ، ص٦٢ .

(٢) معروف ،المدخل في تاريخ الحضارة العربية ، ص ٣٠ .

فجندوا الفرس واستخدموهم في الساحات الشرقية (خراسان وما وراء النهر)، والبربر في بلاد الاندلس، ثم جاء العباسيون واشركوا غير العرب في الجيش من خدم وعبيد واتراك ويطلق عليه الشاكرية ،واشركوا حتى الديلم في الجيش .

وكون العباسيون جيش نظامي فأدخلوا نظام المرتزقة وهم الجند الذين يقبضون رواتب معينة ثابتة ، ويكونون متأهبين للحرب دوماً .واصبح الجيش العباسي يتألف من ثلاثة اقسام :الحرس وهم نواة الجيش وأكثره نظاماً وعدة واعلاه رتبة . وعامة الجيش النظامي من المرتزقة . والقسم الثالث من النتطوعة وكان هولاء ينضمون الى بعض الحملات رغبة في الجهاد او طمعاً في الغنيمة .وكان الجيش النظامي في العصر الاول يتألف من المشاة الحربية (من سيوف ودروع) ، ويتألف ايضاً من النشابين وهم الرماة وترافقهم فرقة من النفاطين ويرمون المواد المحترقة .كما يتألف الجيش النظامي من الفرسان .

وكان يرافق الجيش الاطباء والمهندسون واصحاب الخبرة في انشاء الجسور وبثق القنوات ، واهم ادوات الحصار هي المنجنيق ، والدبابة ...كما كان من اصناف الجيش النفاطين كما اسلفنا ، هنالك فرقة الزراقين وهم الذين يقذفون النار الاغريقية الى داخل الحصون المطلة على البحار او على سفن الاعداء فهي اذا فرقة بحرية ،وهنالك فرقة العيارين وهم رماة الحجارة الكبار على الحصون والاسوار لكسرها وهدمها وايجاد منافذ فيها لدخول المهاجمين .وهناك الفدائيون الذين يقومون باعمال جريئة وكانوا يتعاهدون على الموت قبل بدء المهمة .كما هناك رأس الكبش وهو سلاح من الحديد السميك ويشبه صورة الكبش يركب داخل برج خشبي يرفعه المقاتلة ويصدمون به السور على امل احداث فجوة فيه .فكان انظمة الجيش عند العرب المسلمين من احسنها حتى اعترف بذلك الامبراطور البيزنطي(ليو العاشر) فقال :" ان العرب أحسن الامم قيادة ، واحكمها في حركتها العسكرية"(١)

البحرية :

عرف العرب البحر منذ امد طويل قبل الاسلام وكانا يستخدمونه للأغراض التجارية فقط .فهناك سواحل اليمن ، وجنوب العراق ، وسواحل الخليج العربي ، والبحر المتوسط ، كل ذلك جعل نشوء مدن تجارية على تلك السواحل والتبادل التجاري فيما بينها والبلدان الاجنبية الاخرى . وفي صدر الاسلام لم تتطور البحرية باستثناء التجارة المحدودة . واستمر الامر كذلك حتى استطاع معاوية بن ابي سفيان والى الشام من اقناع عثمان بن عفان (رض) ببناء قوة بحرية

---

(١) فوزي (واخرين) ، النظم الاسلامية ، ص١٣٣-١٨٤ ؛ معروف ، المدخل في تارريخ الحضارة العربية ، ص٤١-٤٦ .

لغزو البيزنطيين ، فقام بغزو قبرص سنة ٢٨هـ ، ثم حدثت موقعة ذات الصواري سنة ٣٤هـ . وفي سنة ٥٤هـ بنى العرب على سواحل مصر دار لصناعة السفن . وكذلك عمل الامويين على جلب عمال ذو خبرة بصناعة السفن الى الشام وهكذا اخذ الاسطول العربي ينمو ويتطور .وقد استخدم لبناء السفينة خشب الساج وخشب جوز الهند وذلك لكونه شديد الاحتمال للبقاء في الماء اذ لا يتشقق ولا يتقلص فهو مرن وقوي .ويستخدم القير على سطحها لسد الثقوب التي قد تسمح للماء بالدخول اليها ، وربما قد تدهن بدهن الحوت بعد غليان لحمة .ومن مسلزمات السفن العربية: قوارب صغيرة تستعمل للنجاة عند تعرض السفينة للغرق . وكذلك هناك المرساة وهو حجر كبير وثقيل يربط بحبل ويرمى في الماء لتثبيت السفينة . وهناك الشراع ،كما يرافق السفن الدليا وهو شخص على معرفة واسعة بالبحر والرياح والموانئ ، ومن مستلزمات السفن العربية البوصلة وهي من اختراع العرب ساعدتهم على القيام برحلات بحرية شرقا وغربا ، فهي تعين الجهة التي تتجه اليها السفسنة . كما استعمل العرب المنارة وهي اعواد خشبية تستند اليها ابراج حراسة تثبت في البحر قرب الشواطئ توقد عليها شعلات النار في الليل لتعطي اشارة للسفن حين رصدها قراصنة البحر وغير ذلك من اخطار البحر .(١)

(١) للمزيد ينظر: فوزي (واخرين) ،النظم الاسلامية، ص١٨٥- ١٨٨؛ سالم ،عبد العزيز - والعبادي ،احمد مختار، تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ،(بيروت ، ١٩٧٢م) .